وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: علوم إنسانية
الشعبة: تاريخ

العراق في العهد العثماني من خلال أدب الرحالة الإنجليز في القرن التاسع عشر ميلادي (19م).

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية

إعداد:
عزالدين شاغة
موسى فارس

إشراف الأستاذ:
مناد يعيش

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
		رئيسا
		مشرفا ومقررا
		عضوا مناقشا

السنة الجامعية:
1442هـ / 1443هـ
2021م / 2022م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

إهداء

إلى شهداء الجزائر الأبرار...

إلى مناضلي فلسطين وباقي البلاد العربية المستضعفة...

إلى والداي اللذان كانا لي سندا في مشواري الدراسي...

إلى إخوتي حبا وعرفانا لهم...

الى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد...

عزالدين

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

أشكر الله عز وجل الذي وفقني على إتمام هذه المذكرة على أحسن حال

أهدي عملي هذا

إلى شهداء الجزائر وفلسطين الأبرار

إلى والداي اللذان أدين لهما بكل شيء في هذه الدنيا

وإلى إخوتي حفظهم الله ورعاهم وأدامهم لي

إلى كل من دعمني من بعيد أو قريب

موسى

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
ج	جزء
دط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	من الصفحة... إلى الصفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلة
هـ	التاريخ الهجري
P	Page

المقدمة

مقدمة

لطالما عرف العراق بأنه مهد أقدم الحضارات التي ظهرت على الأرض، والتي كانت ولا زالت آثارها شامخة إلى يومنا هذا، فضلا عن موقعه الإستراتيجي المتميز وتمتعه بالكثير من الموارد الطبيعية، مما جعله يحضى باهتمام الرحالة الأجانب وخاصة الإنجليز منهم الذين رأوا في العراق قبلة لرحلاتهم خصوصا في فترة الوجود العثماني في البلاد، والتي شهدت العديد من الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، حيث لم يتوان الرحالة عن ذكر وتدوين كل ما صادفته أعينهم، كما كانوا يصفون المناطق التي يزورونها، وعادات وتقاليد سكانها، وقد اتسمت كتابات بعضهم بالدقة عما شاهدوه وعاصروه من أحداث، لذلك تعد كتاباتهم من المصادر المهمة في تدوين تاريخ المناطق التي زاروها، والتي لا يرد عنها الكثير في الكتابات التاريخية الأخرى.

والمعروف عن هذه الكتابات أنها تمتاز بغزارة مضمونها ومحتواها الذي يصور الكثير من جوانب الحياة اليومية، فضلا عن دراستها لجوانب مختلفة، والتي تعد ثروة تاريخية لها قيمتها في توضيح أغلب الأحداث، إن لم تكن المصدر الوحيد لبعضها، إلا أن عددا من الرحالة صوروا جوانب حية عن الحياة اليومية تصويرا عبر عن ميولهم ووجهات نظرهم، وأحيانا كانت آرائهم غير دقيقة وغير محايدة، وأحيانا أخرى مبالغ فيها.

دوافع اختيار الموضوع:

الدوافع الذاتية:

- الاهتمام بدراسة تاريخ العراق (بلاد الرافدين) مهد الحضارات القديمة.
- الرغبة في الاطلاع على نظرة المشارقة لطبيعة الوجود العثماني في المشرق العربي.
- الرغبة في إثراء مكتبة الجامعة بعمل أكاديمي يتناول تاريخ العراق في الفترة العثمانية.

الدوافع الموضوعية:

- الوصول إلى الحقائق التاريخية المتعلقة بأوضاع العراق.
- الوصول إلى نظرة الرحالة الإنجليز حول المجتمع العراقي والعلاقات بين الإدارتين العراقية والعثمانية.
- الوصول إلى الحدث التاريخي الصحيح من خلال المقاربة بين كتابات الرحالة.
- معرفة الغايات والأهداف الحقيقية وراء كتابات هؤلاء الرحالة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الأهمية التاريخية للعراق، ودوره السياسي المثقل بالأحداث التي شهدت تحولات كبيرة على جميع الأصعدة، كما تعود أهمية الدراسة إلى كتابات الرحالة التي جاءت متأثرة بالأوضاع السائدة في تلك الفترة.

الإشكالية:

عانى تاريخ العراق في العهد العثماني العديد من المغالطات في الكتابات التاريخية التي أصبحت تحول دون وصول الباحثين إلى الحقائق التاريخية في مختلف المجالات، وبالرغم من طبيعة كتابات الرحالة واختلاف رآهم للأحداث التاريخية، إلا أن الباحثين اعتمدوا على محصولهم العلمي من أجل الوصول إلى صورة أوضح للحقائق التاريخية. وبناءا على هذا نطرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى ساهمت كتابات الرحالة الإنجليز في تدوين تاريخ العراق؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية وضعت مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما هي دوافع اهتمام الرحالة الإنجليز بالعراق؟
- كيف كانت رؤيتهم لأوضاع العراق خلال الحكم العثماني للبلاد؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية تم توزيع المادة العلمية على فصول هذه المذكرة.

المنهج المتبع:

اعتمدنا على **المنهج الوصفي** في دراسة الأحداث التاريخية بطريقة كرونولوجية، وهذا راجع لطبيعة كتابات الرحالة التي تعتمد بدرجة كبيرة على الوصف.

خطة البحث:

قسمنا البحث إلى فصل تمهيدي وثلاث فصول، إضافة إلى مقدمة وخاتمة وبعض الملاحق التوضيحية.

تطرقنا في الفصل التمهيدي لأوضاع العراق في القرن التاسع عشر ميلادي (19م)، وهذا من أجل إعطاء القارئ نظرة عامة حول الأحوال السائدة في البلاد في مختلف النواحي، سياسية اقتصادية، واجتماعية، والتي دب فيها التدهور كما سنبين لاحقا.

في حين تناول المبحث الأول المعنون بـ: الرحالة الإنجليز في العراق خلال القرن 19م، ذكر لأبرز الرحالة الإنجليز الذين زاروا العراق ودونوا كتاباتهم عنه في الفترة المدروسة، كما أشرنا إلى الدوافع التي جعلتهم يهتمون بالعراق خاصة، حيث تباينت هذه الدوافع بين السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها.

ويتطرق المبحث الثاني إلى ما كتبه الرحالة الإنجليز حول العراق في الشقين السياسي والاقتصادي، حيث حاولنا إبراز رؤيتهم السياسية والاقتصادية للعراق، حيث صور لنا الرحالة الصراعات السياسية، وقدموا نظرة حول الواقع الاقتصادي (صناعة، زراعة، تجارة...).

أما المبحث الثالث والأخير تم تخصيصه لدراسة ما جاء به الرحالة في الجانبين الاجتماعي والثقافي، هذا ما خصص له الرحالة الجانب الأكبر من كتاباتهم بسبب احتكاكهم المباشر مع المجتمع العراقي، حيث قدموا لنا وصفا دقيقا للحياة الاجتماعية، وكذا الجوانب الثقافية من عادات وتقاليد، لباس، إضافة لطرق الاحتفال بالمناسبات.

وتضمنت الخاتمة مجموعة من الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، ولعل كتب الرحالة كان لها النصيب الأكبر من الاهتمام، ككتاب **جيمس بيلي فريزر** المعنون بـ: **رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1843م** والذي صور فيه أغلب ما صادفه أثناء زيارته وبشكل دقيق، وفي شتى النواحي (سياسية اجتماعية، وثقافية) هذا ما أعاننا على إنجاز الجزء المتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية في العراق.

ومن أهم كتابات الرحالة المعتمد عليها أيضا، كتاب الرحالة الإنجليزي الشهير **جيمس ريموند ولستيد** بعنوان: **رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا**، وهو الكتاب الذي استندنا عليه في إنجاز الفصل المتعلق بالواقع السياسي، والصراع بين الحكومتين المملوكية والعثمانية، كما استندنا أيضا في هذا الجزء على كتاب آخر جد قيم، لمؤلفه الإنجليزي **ستيفن همسلي لونكريك** (المفتش الإداري في الحكومة العراقية) وهو من الشخصيات البريطانية المعاصرة لتاريخ العراق الحديث، كتابه معنون بـ: **أربع قرون من تاريخ العراق الحديث**، حيث نجد في هذا الكتاب تفاصيل أهملها الرحالة الآخرون، كون لونكريك أعطى معلومات أدق مرفقة بإحصائيات واعتمدنا عليه في إعداد الفصل السياسي والاقتصادي.

كما استعنى بكتاب الرحالة الإنجليزية **الليدي آن بلنت: قبائل بدو الفرات**، والذي يصور سياسة ولاة العراق تجاه القبائل، ويرسم حياتهم اليومية بشكل أدق، نتيجة الاحتكاك المباشر لآن بلنت بهذه القبائل.

ومن الكتب العربية المعتمد عليها: الجزء السابع لكتاب **تاريخ العراق بين احتلالين** لمؤلفه **عباس العزاوي**، والذي يتناول الفترة الممتدة من 1831-1872م والتي شهدت انتقال ولاية العراق للحكم العثماني بشكل مباشر.

أيضا كتاب **تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850-1918م** للدكتور **قاسم الجميلي**، الذي كان سندا لنا في تصوير الحالة الصحية التي مر بها العراق في الفترة المدروسة من أمراض وأوبئة، وتأثيرها على مجالات الحياة الأخرى خصوصا على الصعيد الاقتصادي.

ومن المؤلفات الأجنبية اعتمدنا على مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة بعنوان: **Lady Anne Blunt and the English Idea Of Liberty : in Arabia Egypt, India, and the Empire**، إعداد الباحثة الأمريكية **Lisa McCracken Lacy**، المقدمة لجامعة تكساس الأمريكية أوستن سنة 2012م، وكذلك مقال من إعداد: **Elizabeth Archer**، بعنوان **Lady Anne Blunt**، لصالح مجلة **AHN** في عددها 46 الصادر في أفريل 2018، والتي استعنى بها في إعداد سيرة عن الرحالة آن بلنت.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعدادنا لهذه الدراسة:

- عدم قدرتنا على الحصول على كتاب الرحال الإنجليزي **ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام**، بعد البحث عنه في مختلف المكتبات، كذلك لم نستطع الحصول على نسخة pdf.
- طبيعة كتابات الرحالة العشوائية وانتقالهم من فكرة لأخرى دون مراعاة الترتيب الكرونولوجي، مما صعب علينا مأمورية الوصول إلى المعلومات المرغوب فيها، ناهيك عن الذاتية في تصوير الأحداث والوقائع، وكثرة الأخطاء والزلات خصوصا في ذكرهم لأسماء المدن والشخصيات.
- صعوبة ترجمة المراجع الأجنبية مما يتطلب وقتا كثيرا.

فصل تمهيدي

أوضاع العراق في القرن التاسع عشر ميلادي

1- الأوضاع السياسية

2- الأوضاع الاقتصادية

3- الأوضاع الاجتماعية

أوضاع العراق في القرن التاسع عشر ميلادي

تمهيد:

خضعت العراق للحكم العثماني منذ عام 1543م في عهد السلطان **سليمان القانوني*** (أنظر الملحق رقم 01)، وبقيت تحت الحكم العثماني حتى عام 1917م، وخلال الفترة ما بين 1623-1632م خضعت ولاية بغداد للسيطرة **الصفوية***، إلا أن العثمانيين تمكنوا من استعادة السيطرة عليها مرة أخرى.

إضافة لذلك خضعت بغداد للحكم المملوكي في الفترة ما بين 1750-1831م، لكن العثمانيين قضوا على **المماليك*** عام 1831م وحكموا العراق حتى سقوط بغداد على يد القوات البريطانية سنة 1917م، وانتهى الحكم العثماني للعراق بشكل تام بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وفق مقررات مؤتمر الصلح في باريس عام 1917م.[1]

---

* **السلطان سليمان القانوني:** هو عاشر السلاطين العثمانيين في الدولة وهو صاحب أطول مدة حكم من 2 نوفمبر 1520م الى غاية وفاته 7 سبتمبر 1566م، خلفا لوالده السلطان سليم خان الأول، إبنه السلطان سليم خان الثاني، عرف عند الغرب باسم السلطان سليمان العظيم، وفي الشرق باسم السلطان سليمان القانوني لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أنظر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط1، الكزيت 2014م، ص338.

***الصفويين:** أسرة فارسية حكمت إيران منذ بداية القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي واستمرت حتى منتصف الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، تنتسب الى جد أعلى إسمه صفي الدين 735هـ/1334م من متصوفة أردبيل، يعتبر إسماعيل بن شيخ حيدر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، وهو الذي اتخذ عقيدة الشيعة الإمامية مذهبا رسميا لإيران، ويعتبر عباس الثالث 1150هـ/1737م آخر من حكم فارس من شاهات هذه الأسرة. أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م، ص296.

* **المماليك:** جمع مملوك، هو العبد الذي يباع ويشترى، وقد إقتصرت هذه التسمية في معظم الدول الإسلامية المتأخرة على فئة من الرقيق البيض الذين كان يجلبهم التجار غير العرب من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز وآسيا الصغرى. أنظر: أحمد عودات جميل بيضون، شحادة الناصور تاريخ المغول والمماليك، دار الكندري، الأردن، 1990م، ص61.

[1] نورس علاء موسى كاظم، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800م، بغداد 1949م، ص ص 32-61.

أ/ الأوضاع السياسية:

كان العراق يتكون من أربع ولايات: ولاية بغداد، ولاية الموصل، ولاية شهرزور، وولاية البصرة[1]، في مطلع القرن الثامن عشر ظهرت في العراق قوة المماليك الذين سيطروا على كل ولايات العراق بدعم من الدولة العثمانية نفسها، حتى يقفوا في وجه بلاد فارس[2].

بدأ حكم المماليك في العراق بولاية **سليمان باشا***، وانتهت في عام 1831م بولاية **داود باشا*** (أنظر الملحق رقم 02) الذي تسلم الحكم سنة 1817م، حيث اشتهر بمكانته السياسية في العراق وله دور في تطبيق إصلاحات مهمة جداً في المجال السياسي والعسكري منها:

- استطاع أن يعمم الأمن في البلاد، وكان يسعى من خلال أفكاره وأهدافه السياسية إلى توحيد العراق وتخليصه من النفوذ الأجنبي(الإيراني) بالاعتماد على العراق وعلى قواه وامكانياته في ترقية الأمور بعيدا عن تدخل السلطان[3].
- عمل على تنظيم الإدارة وتحسين الأوضاع ونشر الرخاء.

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، النظم الإدارية العثمانية في البلاد العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية، مجلة الدارة، ع1، السعودية 1408هـ، ص102.

[2] إبراهيم خليل أحمد، جعفر عباس حميد، تاريخ العراق المعاصر، دار الأثير، العراق، 1989م، ص84.

***سليمان باشا:** (أبو ليلة) سمي أبو ليلة لحملاته التي يغير بها في الليل، أول من حكم العراق من المماليك سنة 1748م وصل إلى الحكم بسبب فتنة قام بها الإنكشارية في بغداد، دام حكمه ثلاث عشر سنة... للمزيد أنظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق، ج3، المكتبة الوطنية، العراق، 1972م، ص154.

***داود باشا:** (1756-1851م) كرجي الأصل، هو آخر ولاة المماليك في العراق، تولى الحكم سنة 1817م بعد وفاة سليمان باشا... للمزيد أنظر: عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص24.

[3] سيار كوكب علي جميل، تكوين العرب الحديث 1516-1914م، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1991م، ص412.

- اهتم بتسليح الجيش وتدريبه على الأساليب الحديثة وهذه النقطة أثارت مخاوف السلطان منه وخشي أن ينفصل عن الدولة العثمانية وهذا ما دفعه إلى إقصاء المماليك عن حكم العراق نهائيا[1].

اتبع داود باشا سياسة المماليك التقليدية نحو العشائر العربية وهي ضرب عشيرة بأخرى. وحاول أن يقنع العشائر بالكف عن الغزو والالتزام بالهدوء لكن دون جدوى، حيث استمرت حوادث القتال ضد العشائر طوال أيام حكمه[2]، كما خاض نضال ضد الانفصالية الإقطاعية والقبيلة سعيا وراء إحكام سلطته على العراق، وأخمد الانتفاضات القبيلة، وأقصى الشيوخ غير الموالين له ووضع رجاله على رأس القبائل العربية. أما الكفاح من أجل **الأكراد*** الإقطاعيين فكان أشد صعوبة[3].

لقد قاسى ولاة المماليك مشاقا كثيرة في إخضاع العشائر الثائرة التي استنزفت ثوراتهم الكثير من الأموال والجهود، وكانت الحملات العسكرية التي توجه إلى العشائر، تكاد تكون من عادات كل والي من ولاة المماليك، وكانت هذه الحملات تقوم بتشريد العشيرة وتستولي فيما بعد على أموالها ومواشيها وتعدها من الغنائم الحربية[4].

وفي سعي داود باشا إلى الاستقلال بالبلاد وجعلها خاصة لحكمه، استغل هزيمة الأتراك في حرب 1828-1829م ضد روسيا لصالحه، وبموجب صلح أدرنة كان قد فرض على

---

[1] إبراهيم خليل أحمد، جعفر عباس حميد، تاريخ العراق المعاصر، دار الأثير، العراق، 1989م، ص121.

[2] يونس زويد الجشعمي، سياسة المماليك تجاه بعض عشائر الفرات الأوسط 1749-1830م، مجلة كلية التربية الأساسية، ع11، العراق، 2013م، ص14.

***الأكراد:** أو الكرد، مجموعة عرقية وشعوب تتركز في غرب آسيا، شمال بلاد الرافدين، وجنوب شرق الأناضول، بمحاذاة جبال زاغروس في منطقة كردستان، وهي اليوم عبارة عن أجزاء من شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا وشمال العراق. للمزيد أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B1%D8%AF تاريخ الإطلاع: 2022/06/11 سا: 08:58.

[3] فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البستاني، ط8، دار الفارابي، لبنان،1980م، ص89.

[4] كريم مطر حمزة، الحلة في عهد داود باشا 1817-1831م، مجلة كلية التربية، ع3، مج1، العراق، 2009م، ص213.

تركيا غرامة مالية حربية كبيرة، وطالب السلطان **محمود الثاني*** (أنظر الملحق رقم 03) المال من الباشوات. فأوفد إلى العراق في ديسمبر 1830م موظفا يمثل الباب العالي لجباية الجزية إلا أن الموظف قتل من طرف داود باشا، فأعلن **الباب العالي*** تمرد داود باشا[1].

أرسل السلطان محمود الثاني ضد حكومة بغداد قوات يقودها **علي رضا اللاز باشا*** (أنظر الملحق رقم 04) والي حلب، وعلى الرغم من إيمان داود باشا بالنصر لثقته العالية بقواته، إلا أن الأوضاع جاءت معاكسة له إذ حلت الفيضانات والقحط والوباء فجأة لكي يضعف العراق وقوته السكانية ويكون الجيش عرضة للهلاك إثر انتشار الطاعون بينهم، هكذا وجدت قوات علي رضا اللاز باشا الطريق سالكة ومفتوحة للدخول إلى بغداد دون مقاومة[2].

عزل داود باشا وأرسل إلى إسطنبول، وفي نفس الوقت ذاته وضع حد للانفصالية الباشاوية ومماليك بغداد وأخذ الباب العالي يعين من الآن فصاعدا باشوات بغداد، الذين التزموا بتطبيق أوامره وانتهاج سياسته[3].

***محمود الثاني:** والده السلطان عبد الحميد الأول، تولى حكم الدولة العثمانية من 1808–1839م، وتنسب إليه الانطلاقة الحقيقية للإصلاحات العثمانية، انتهج سياسة ترمي إلى تجديد النظام الإداري والعسكري للدولة... للمزيد أنظر: سامي بن عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص552.

***الباب العالي:** اسم أطلق على الإدارة المركزية للحكومة العثمانية وفيها مقر الصدر الأعظم، وأطلق هذا الاسم في بادئ الأمر في عهد السلطان عبد المجيد الأول. أنظر: مصطفى عبد الكريم خطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1996م، ص62.

[1] فلاديمير لوتسكي، المرجع نفسه، ص91.

***علي رضا اللاز باشا:** قائد عسكري عثماني أنهى حكم المماليك في العراق وأصبح واليا على ولاية بغداد للفترة من (1831–1842) تولى مناصب عديدة منها كتخدا (اي معاون الوالي) وتولى منصب والي حلب ووالي ديار بكر... للمزيد أنظر: https://www.noor-book.com/tag/%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B1%D8%B6%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D8%B4%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF تاريخ الإطلاع: 2022/06/07 سا: 12:36.

[2] سيار كوكب علي جميل، المرجع السابق، ص413.

[3] فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق، ص91.

ب/ الأوضاع الاقتصادية:

عانت الزراعة في العراق من التدهور في معظم سنوات الحكم العثماني وكان المزارعين يعتمدون على وسائل وأساليب تقليدية، يعود بعضها إلى العصور القديمة، ويعتبر المحراث الخشبي والفأس أكثر الأدوات الزراعية انتشارا، وكان استخدام المحراث الحديدي المثبت على سكة خشبية في نطاق محدود جدا وفي عدد قليل من المزارع، بينما كانت عملية دراسة المحصول تتم بواسطة الماشية ولم تستخدم الأدوات الزراعية التي كان الفلاحين الأوربيين يستخدمونها إلا في حالات نادرة جدا، كما لم تول الحكومة العثمانية اهتماما بتطوير مشاريع الري، هذا ما انعكس على الإنتاج الزراعي بشكل كبير. وعلى الرغم مما يعانيه الفلاح العراقي من صعوبات في عمله فأن الحكومة كانت تفرض عليه ضرائب يصعب تسديدها، كما كانت الفيضانات التي تتعرض لها الأراضي الزراعية من العوامل التي تركت أثارها على تردي الإنتاج الزراعي[1].

أما طرق المواصلات والنقل فقد أهملت هي الأخرى من قبل الحكومة العثمانية، وطوال العهد العثماني كانت معظم عمليات نقل الأشخاص والسلع التجارية والمنتجات الزراعية تتم برا بواسطة الجمال والخيول والبغال والحمير، وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تواجه القوافل التجارية والمسافرين أثناء السفر، فلم تكن الطرق البرية تتسم بالأمان، بل كان المسافرين وبضائعهم يتعرضون للسرقة على يد قطاع الطرق من اللصوص، وكانت أموالهم وبضائعهم تنهب منهم في حالات عدة[2].

في حين شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر حدوث تقدم كبير نسبيا في قطاع التجارة ولا سيما في الولايات العراقية الرئيسة بغداد، البصرة، والموصل، وذلك لأسباب عدة

[1] نجاة خير الله كاظم، التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العراق خلال الحكم العثماني 1869-1917م، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، أربيل، 2020م، ص ص 406-407.

[2] نجاة خير الله كاظم، المرجع نفسه، ص407.

منها ارتباط العراق بالأسواق الرأسمالية العالمية وظهور بعض الولاة المصلحين في العراق على غرار **مدحت باشا*** (أنظر الملحق رقم 05)، الذين حرصوا على تطوير وتنمية الاقتصاد إضافة إلى زيادة الإنتاج الناجمة عن التوسع في الزراعة إثر الطلب المتزايد من الخارج على بعض المنتجات العراقية، وكانت تجارة الصادرات من الولايات العراقية الثلاث الرئيسة قبل دخول البواخر إلى دجلة والفرات وميناء البصرة ونشوء التجارة العراقية الأوربية في أواسط القرن التاسع عشر، وكانت السلع العراقية تصدر الى سوريا واسطنبول والمدن القريبة منها، وكان العراق آنذاك يصدر بعض منتجاته المحلية، علما أن أغلب حمولة قوافله المصدرة كانت تتألف من المنسوجات والحرير والتبغ والفواكه المجففة، باستثناء التمور التي كانت تنتج محليا، فقد كانت معظم البضائع تأتي من الهند وإيران وشبه الجزيرة العربية وتصدر عن طريق العراق باتجاه بلاد الشام واسطنبول[1].

بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م، شهد العراق نشاط تجارة تصدير إلى أوروبا وبشكل رئيسي إلى بريطانيا، وقد ساهم فتح قناة السويس في تنشيط عملية النقل البحري بين الشرق والغرب، فانعكس أثر ذلك على نشاط حركة التجارة البحرية في الخليج العربي[2]، وكانت هناك عوامل خارجية وداخلية عدة ساعدت على ازدياد نشاط حركة التصدير من بعض المدن العراقية الى الدول الأخرى ومنها الاوربية، ومن أهم العوامل الخارجية تطور طرق ووسائل المواصلات، وانخفاض ثمن النقل نسبيا، واصدار الحكومة العثمانية بعض القوانين التي خفضت بموجبها الضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات، اما العوامل الداخلية فأهمها

***مدحت باشا:** اسمه أحمد شفيق، الملقب بأبي الأحرار، من سلالة بلغارية، ولد في إسطنبول سنة 1822م، اشتغل منصب القاضي في العديد من ولايات الدولة العثمانية، تميز بالميل إلى الإصلاح والتجديد... للمزيد أنظر: قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العالم للملايين، مصر، 1947م، ص9.

[1] محمد سليمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958م، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1965م، ص87.

[2] شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800-1914م، تر: رؤوف عباس حامد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1990م، ص ص 211-212.

إخضاع شيوخ العشائر والآغوات لسلطة الحكومة، وتوحيد الولايات العراقية حول محور بغداد منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، مما أدى بدوره إلى زيادة إنتاج بعض المحاصيل الزراعية فقام بعض التجار إثر ذلك بتصدير الفائض من الإنتاج إلى الخارج مما ساعد على نشاط التصدير[1].

أدى تطور الاقتصاد الى تغير واقع المجتمع المدني نفسه تغيرا جذريا، وتغير وضع التجارة الكمي على إثر ظهور مئات المحال التجارية والدكاكين الجديدة، وظهرت فئة **الكومبرادور***، وهؤلاء هم وسطاء وبمثابة حلقة وصل بين الأسواق المحمية وأسواق العالم الرأسمالي. وقد قام هؤلاء بتأسيس شركات خاصة للتصدير ومن ثم للإستيراد.

وفي العقدين الثامن والتاسع من القرن التاسع عشر كانت هناك ستة شركات عراقية مقابل ستة شركات أجنبية تقوم بتصدير التمور الى الخارج، وأخذت أعداد تلك الشركات والعاملين في هذا المجال يزدادون في السنوات اللاحقة بشكل تدريجي[2].

على الرغم من التقدم الكبير الذي شهده قطاع التجارة وقطاع الزراعة، إلا أن الصناعة لم تتقدم كثيرا، فقد تركت عملية التطور الاقتصادي آثارا سلبية واضحة على هذا القطاع. وأخذت العشرات من محلات الإنتاج الحرفي تختفي من الأسواق والبيوت التي تمارس فيها لأنه لم يكن بوسع إنتاجها المحدود منافسة البضائع الأجنبية المستوردة الأجود نوعا والأرخص

---

[1] محمد سليمان حسن، المرجع السابق، ص ص 87-88.

***الكومبرادور**: أصل الكمة لغويا مقتبس من الكممة الاسبانية Comparado وتعني المشتري. واصطلاحا تعني الفئة البرجوازية التي اقتصر تكوينها على البلدان الخاضعة أو الشبه الخاضعة للاستعمار، والمتخلفة بشكل عام ولاسيما في آسيا وأفريقيا. ويرتبط ميلاد هذه الفئة بأولى محاولات تغلغل الرأسمالية إلى المناطق الأخرى حينما أصبحت الحاجة ملحة إليها لتعمل بدور الوساطة بين الشركات الأجنبية والأسواق المحلية، وفي الغالب يتحول أبناء هذه الفئة إلى حلقة وصل بين الفلاحين والمرابين المحميين مع المنتجين الرأسماليين في الخارج، وقد استخدم مصطلح الكومبرادور كمصطلح اجتماعي خاص منذ أواخر القرن التاسع عشر ليطلق عمى كل فرد او مجموعة أفراد يقومون بدور الوكيل لشركة أو مؤسسة رأسمالية أجنبية. للمزيد أنظر: كمال مظهر أحمد، صفحات من تاريخ العراق الحديث والمعاصر دراسة تحليلية، ط1، منشورات مكتبة البدليسي، بغداد، 1987م، ص ص 29-30.

[2] كمال مظهر أحمد، الإطار الزمني لتاريخ العراق الحديث والمعاصر، مجلة الحكمة، ع5، 1988م، ص28.

سعرا والأكثر تنوعا والتي لاقت رواجا كبيرا في الأسواق، وقد أخذت بعض المحلات الحرفية الأخرى بمظاهر التحديث، وانظم إليها عدد من الحرفيين الذين كانوا قد خسروا أعمالهم بسبب التطورات الحديثة التي شهدها الاقتصاد، وقد انظم هؤلاء الحرفيون إلى صفوة الطبقة العاملة الوليدة التي كانت تمثل بدورها حالة جديدة في بغداد ما بعد منتصف القرن التاسع عشر. وظهرت منذ ذلك الوقت النواة الأولى للمستثمرين العراقيين في مجال الصناعة، ووجدت الآلات الحديثة المتصلة بحياة الفرد المعيشية طريقها الى العراق منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر[1].

ج/ الأوضاع الاجتماعية:

شهدت المدن العراقية في العهد العثماني إصابة السكان بالأمراض المعدية الخطيرة ومنها على سبيل المثال مرض الكوليرا الذي انتشر في عهد الوالي المملوكي داود باشا في بغداد عام 1820م، وقد انتقل المرض المذكور من الهند مع المسافرين القادمين الى مدينة البصرة ومنها انتشر إلى باقي المدن العراقية، وقد فتك المرض بسكان البصرة وكاد يقضي على جميع اهالي المدينة، حتى أن الجثث انتشرت في الطرق والأزقة وهرب معظم الذين لم يصابوا بالمرض إلى البادية[2].

إضافة إلى ذلك فقد انتشر الطاعون في بغداد أوائل عام 1831م وقد انتقل المرض إلى العراق من إيران، فقد كانت الأخبار ترد إلى بغداد عن انتشاره في تبريز منتصف عام 1830م، ومن ثم انتقل إلى المناطق الحدودية، ثم انتشر في كركوك والسليمانية وعم جميع كردستان، وفي أواخر آذار 1831م أخذت الإصابات تظهر في بغداد لا سيما وأن الحكومة لم تأخذ التدابير اللازمة لإيقافه، واستمرت القوافل القادمة من إيران وكردستان تدخل بغداد بكل حرية، وفي منتصف نيسان من العام نفس توفي سبعة ألاف شخص في مدينة بغداد بعد

[1] كمال مظهر أحمد، المرجع السابق، ص37.

[2] كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، تر: عبد الواحد كرم، ط2، بيروت 1975م، ص ص 19-20.

إصابتهم بالمرض أي خلال أسبوعين فقط من انتشاره، وقدرت أعداد الوفيات اليومية ببغداد جراء الطاعون ما بين ألف وخمس مائة (1500) وثلاث آلاف (3000) شخص، وتكدست جثث الموتى في الشوارع وأصبح الأحياء عاجزين حتى عن دفن موتاهم، ومما زاد من تدهور الأوضاع فيضان نهر دجلة في 26 نيسان 1831م وخلال ساعات غرق حوالي أربع آلاف (4000) منزل[1].

وفي الشمال عصف الطاعون سنة 1831م بالموصل، لمدة تقرب ثلاثة أشهر، تاركا المدينة مهجورة تقريبا، فيما قدرت الوفيات بما لا يقل عن مائة ألف شخص، وإلى الجنوب من البصرة هجرت المدينة بعدما بدأ الطاعون بالانتشار، وتشتت تجارها في أماكن مختلفة، وتفشت في غضون تلك المدة أعمال الشغب والفوضى في كل مكان بالولاية، ولم تقتصر أضرار الموجة الوبائية على الناحية الديمغرافية فقط، بل امتدت أيضا لتعطيل الحياة الاقتصادية للولاية، فنتيجة لنقص القوى العاملة أهملت بساتين النخيل التي كانت المصدر الرئيسي لثروة تجار البصرة[2].

بالإضافة الى الأوبئة، كان هناك انتشار كبير لأمراض أخرى ظهرت في العراق في الفترات المتأخرة من العهد العثماني، مثل المالاريا والحمى المعوية والتيفوئيد، الزحار، الحصبة الحمى القرمزية، والتهاب الشعب الرئوية والجذام وأمراض أخرى[3]

أما التعليم في العراق فقد كان يعاني من التخلف هو الآخر، ومعظمه تعليما دينيا حيث اقتصر قبل ظهور المدارس الحديثة على الكتاتيب والمساجد[4]، ويتم تدريس العلوم الدينية

---

[1] علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق 1750-1831م، دار الحرية للطباعة، بغداد 1979م، ص ص 257-258.

[2] قاسم جميلي، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850-1918م، ط1، دار الدجلة، الأردن، 2016م، ص34.

[3] قاسم جميلي، المرجع نفسه، ص ص 36-37.

[4] عمر إبراهيم الشلال، مدارس البنات في الولايات العراقية أواخر العهد العثماني 1899-1914م، مجلة سر من رأى، ع43، مج11، العراق 2015م، ص335.

وقواعد اللغة العربية فقط، كذلك نجد نسبة الأمية بين السكان كانت مرتفعة إلى حد كبير، إذا تحدثنا عن أسباب تخلف الوضع الثقافي في العراق فإن هذا الوضع لا يعود سببه الوحيد إلى قلة اهتمام الحكومة، بل يعود أيضا إلى العادات الاجتماعية الموجودة لدى بعض سكان العراق فهم يعتقدون أن عمل أبنائهم معهم في الزراعة وتربية المواشي أفضل من انشغالهم بالتعليم[1]. باستثناء عهد داود باشا والذي يعد عهد الرعاية بالنهضة الثقافية[2]، حيث بلغ عدد المدارس في عهده إلى 64 مدرسة لتدريس الآداب واللغات الفارسية، التركية والعربية[3]. حيث زار **الرحالة*** ولستيد بغداد أيام حكم داود باشا 1816-1831م وأشار إلى وجود مدارس ملحقة بالجوامع[4]. ومن أهم المعاهد التي أنشأها: مدرسة داود باشا، المدرسة العادلية المدرسة الأعظمية[5].

وكخلاصة لهذا الفصل يتضح لنا أنه بالرغم مما شهده العراق من تقلبات في الأوضاع خلال هذه الفترة، إلا أن الرحالة أصروا على تحقيق مرادهم المتمثل في زيارة العراق من أجل تحقيق غاياتهم وأهدافهم.

---

[1] حيدر صبري شاكر الخيقاني، جذور التحديث الاجتماعي في العراق 1850-1914م دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع12، العراق 2013م، ص35.

[2] علاء موسى كاظم نورس، المرجع نفسه، ص140.

[3] إبراهيم خليل أحمد، جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، دار الأثير، العراق 1989م، ص120.

* **رحالة:** يستخدم اصطلاح «الرحالة» للإشارة إلى فرد يرتحل من منطقة إلى أخرى، ثم يعود إلى وطنه بسجلات لمغامراته، وبملاحظات ودراسات وانطباعات عن الأراضي التي كان فيها، وقد تكون سجلات الرحالة في صورة يوميات، ودراسات جغرافية وخرائط، أو ملاحظات أنثروبولوجية، أو ملاحظات ثقافية أو شخصية، أو انطباعات برية، أو شكل من أشكال التعبير الفني مثل الرسم أو التصوير الفوتوغرافي، وبالتالي فإن الاهتمام بالأرض التي رحل إليها وبشعبها وثقافتها وطبيعتها. وكذلك الرغبة في تسجيل تجارب الرحيل هي أمور ضرورية لكي يكون أي فرد قائم بالرحيل « رحالة » أنظر: عبيد علي بن بطي، كتابات الرحالة و المبعوثون عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث دبي، 1996م، ص335.

[4] أحمد حسين عبد الجبوري، أوضاع العراق الاجتماعية من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، مجلة سر من رأى، ع5، مج3، ص55.

[5] يوسف عزالدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، دار البصيرة، العراق 1967م، ص41.

المبحث الأول:

الرحالة الإنجليز في العراق خلال القرن 19م

1- أبرز الرحالة الإنجليز الوافدين إلى العراق

2- دوافع اهتمام الرحالة بالعراق

1/ أبرز الرحالة الإنجليز الوافدين إلى العراق

توافد العديد من الرحالة الإنجليز على زيارة العراق خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ومن أبرز الرحالة نذكر:

أ/ الليدي آن بلنت:

هي السيدة أنابلا كنغ – نول، ولدت في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر سنة 1837م رحالة بريطانية، حفيدة الشاعر البريطاني **اللورد بيرون***. تعلمت اللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والعربية، كما سافرت كثيرا في أوروبا، وفي واحدة من رحلاتها الى إيطاليا عام 1866م تعرفت على الدبلوماسي البريطاني ويلفرد سكاون بلنت وتوجت علاقتهما بالزواج عام 1869م فأصبحت منذ ذلك التاريخ تعرف باسم عائلة زوجها[1].

بدأت الليدي آن رحلاتها رفقة زوجها عام 1873م نحو الشرق، وكانت الجزائر أول محطة لهما في رحلتهما من أجل اكتشاف الأراضي النائية، لكن صعوبة التنقل حالت دون تحقيق غايتهما حيث كانت السفر في الجزائر يعتمد على الجمال والخيول[2].

قام الزوجان في عام 1878م برحلة الى العراق وبادية الشام، حيث اختلطا بالقبائل العربية ورافقوهم في حلهم وترحالهم، واشتروا بعض الخيول التي ارسلوها الى بريطانيا، كتبت

***اللورد بيرون:** ولد في لندن في الثاني والعشرين جانفي 1788م وهو من أسرة عريقة في النبالة، يرجع أصلها الى النورميديين الذين كانوا يقطنون في المقاطعة المعروفة باسمهم في شمال فرنسا، أتم دراسته في هرو، ومن ثم التحق بكلية الثالوث ترنتي كولدج، في جامعة كمبردج. استمر في قرض الشعر الذي بدأه في هرو وسرعان ما نشر ديوانا صغيرا بعنوان ساعات الفراغ، غير أنه هوجم في مجلة إدنبره مهاجمة قاسية، فرد على الهجوم بقصيدة عنوانها: الشعراء الإنجليز والنقاد الإسكتلنديين سنة 1809م. أنظر: لورد بايرون، أسفار شيلد هارولد، ط1، تر: عبد الرحمن بدوي، دار المدى للثقافة والنشر دمشق، 2007م، ص ص 193-194.

[1] عوض البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية منطقة الجوف ووادي السرحان 1845-1966م، ط2، الدار العربية للموسوعات بيروت، 2002م، ص113.

[2] Lisa McCracken Lacy, Lady Anne Blunt and the English Idea of Liberty: In Arabia, Egypt, India, and the Empire, Presented to the Faculty of the Graduate School of The University of Texas at Austin in Partial Fulfillmen of the Requirement for the Degree of Doctor of philosophy, The University of Texas, May 2012, p p 68-69.

الليدي آن وصف تجربتها في هذه الرحلة في كتاب جاء بعنوان " قبائل الفرات البدوية " وتم نشره باللغة الإنجليزية عام 1879م، وتمت ترجمة ونشر هذا الكتاب باللغة العربية عام 1991م في دمشق[1].

كانت الليدي آن بلنت مهتمة بجمع الروايات والحكايات والقصص والأساطير، وقد ساعدها على ذلك العديد من الشخصيات العربية التي صادفت رحلتها على غرار راضي الذي كان دليلها في صحراء النفوذ، وكذلك محمد بن عروق الذي خرج معها من دمشق، والذي كان حريصا على إرضائها بإسماعها الكثير من قصص البادية والبطولة. وربما أضاف هؤلاء المرافقون شيئا من الخيال على قصصهم لإرضائها، وإلى جانب تلك القصص كانت بلنت مهتمة بالشعر النبطي الذي صاغه محمد بن عروق عن قصة عشق الصحراء. بحيث كتبت كتابا جاء في جزأين سمته " رحلة إلى نجد A pilgrimage to Nejd "[2]، ولما سألت عن ذلك أجابت بشكل مازح: كنت أعني الحج العاطفي، ونجد مركز الشعراء.[3]

كما قاما برحلة* أخرى بعد وقت قصير من انهاء رحلتهما الأولى الى نجد، انطلاقا من دمشق متوجهين الى حائل عبر قرى سوريا ووادي السرحان والجوف والنفود فحائل التي غادراها بعد انتهاء زيارتهما الى بغداد في السادس من مارس عام 1879م، كما كانت من بين الرحالة القلائل الذين نجحوا في رسم وتصوير رحلاتهم في الشرق، حيث عادت الى بغداد مع قافلة الحجاج الفرس ورسمت بوضوح ما لديها من موهبة الفنان كل مكان مهم أو منظر غريب مرت به[4].

---

[1] الليدي آن بلنت، قبائل بدو الفرات 1878م، ط1، تر: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، دار الملاح للطباعة والنشر دمشق، 1991م.

[2] علي عفيفي علي غازي، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، ط1، دار الرافدين، العراق، 2016م، ص ص 310-311.

[3] عبد الفتاح حسن أبو عليه، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1979م، ص410.

[4] جمال محمود حجر، المرأة الغربية والرحلة الى لجزيرة العربية: رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل عام 1879م، ذكريات الرحالة، مجلة التراث، ع121، سبتمبر 2009م، ص4.

ب/ ويلفرد سكاون بلنت:

ولد في السابع عشر من شهر أوت 1840م، وهو من عائلة اقطاعية، دخل العمل الدبلوماسي في سن الثامنة عشر، و عمل في عدة سفارات بريطانية في اليونان و فرانكفورت و فرنسا و اسبانيا و البرتغال و الأرجنتين، حتى استقال من عمله الدبلوماسي بعد زواجه من الليدي آن، اشتهر بكونه شاعرا و كاتبا و معارضا لسياسة الحكومة البريطانية الإستعمارية في إيرلندا والهند ومصر والسودان، كتب عددا من الكتب التي تعبر عن آرائه واشتهر منها " مستقبل الإسلام " 1882م، " أفكار حول الهند " 1885م، و "التاريخ السري للاستعمار البريطاني لمصر" 1906م. كما شارك في تحرير وكتابة بعض الأجزاء لكتب الرحلات التي أعدتها زوجته و اعتبره البعض أنه الكاتب الحقيقي لهذه الرحلات.[1]

ج/ جيمس بيلي فريزر:

ولد في أنفرنيس في اسكوتلندا في 1783م، توفي في ريليك في كانون الثاني 1856م مما عرف عنه أنه كان سائحا ومؤلفا، وقد ذهب الى الهند في أول أدوار حياته. وفي 1815م ارتاد جبال الهيمالايا ودرس الكثير من أحوالها، وفي 1823م تزوج إبنة اللورد ووهاوسلي وهي زوجته التي ظل يبعث إليها برسائله التي يؤلف قسم منها قوام كتابه " **رحلة فريزر الى بغداد 1834م** ".[2]

د/ جيمس بيكنغهام:

ولد بيكنغهام واسمه الكامل جيمس سلك بيكنغهام سنة 1786م، في قرية قرب مدينة فالموث بإنجلترا من أب مزارع، ومنذ أن شب أغرم بالبحر فأنفق سنوات فيه، وما لبث أن انتقل وهو شاب إلى الهند فاشتغل في إحدى دوائر شركة الهند الشرقية الإنجليزية سنوات عديدة

[1] عوض البادي، المرجع السابق، ص ص113-114.

[2] جعفر الخياط، في مقدمة: جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد 1834م، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص11.

وكان أثناء عمله في الشركة كثير الترحال يغتنم ما يتجمع لديه من إنجازات سنوية لينفقها في رحلة من رحلاته البعيدة. ولقد كانت البلاد العربية قبلة أنظاره في رحلاته وأسفاره، وقد بدأ أول رحلاته العربية بمصر سنة 1812م، فطاف بها عكس مجرى النيل من بورسعيد إلى جنوبي أسوان، مستوضحا من أماكنها الأثرية وأحوال سكانها، وقد طبع رحلته هذه في كتابين كبيرن. وفي سنة 1814م قام برحلة أخرى إلى فلسطين وشرقي الأردن، وبعد عامين بدأ رحلته إلى العراق من طريق سوريا، فعبر البادية إلى سنجار، ومنها الى الموصل ثم دخل بغداد عن طريق الموصل، أربيل، كركوك، وقد أصدر مجلدين عن رحلته للعراق بعنوان: "**رحلتي إلى العراق سنة 1816م**"، كما أصدر بعد ذلك كتابا باسم "**رحلات بين العشائر العربية**" تحدث فيه عن ترحاله بين العشائر العربية على امتداد فلسطين والأردن وسوريا والعراق.[1]

هـ/ ريج البريطاني:

اسمه الكامل كلوديوس جيمس ريج، ولد في 28 مارس سنة 1787م، على مقربة من مدينة ديجون الفرنسية، ثم نقل وهو صغير إلى بريستول في إنجلترا حيث قضى السنوات الأولى من حياته برعاية والديه، كان محب الإطلاع فاستعان بالكتب، في إحدى المرات وقف على مخطوط عربي في خزانة أحد وجهاء بريستول، فساورته رغبة شديدة بالوقوف على هذه اللغة، هذا ما زاد من اهتمامه بدراسة العلوم الشرقية. زار العراق سنة 1808م وقضى في بغداد مقر الباشوية حوالي ستة سنوات، حيث جمع المصادر اللازمة لكتاب: "**في تاريخ باشوية بغداد وأحوالها الجغرافية والإحصائية**". كما قام برحلة إلى بابل لدراسة آثار تلك المدينة القديمة فجمع نتاج ملاحظاته في كتاب: "**مذكرات خرائب بابل**"، كما له أيضا كتاب آخر بعنوان: "**رحلة ريج البريطاني المقيم بالعراق 1820م**".[2]

---

[1] سليم طه التتكرتي، في مقدمة: جيمس بيكنغهام، رحلتي الى العراق سنة 1816م، ج1، مطبعة أسد، العراق، 1968م، ص5.

[2] اللواء بهاء الدين النوري، في حياة المستر ريج، كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق 1820م إلى بغداد كردستان إيران، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008م، ص 5، 13، 14.

و/ الكابتن كينر:

رحال إنجليزي إهتم لواقع العشائر العراقية، حيث زار العراق سنة 1813-1814م وأصدر كتابه عن العشائر العراقية في لندن سنة 1818م، شملت رحلته مناطق عديدة من كردستان والموصل ومناطق أخرى.[1]

زار العراق في 1813-1814م، واهتم بالعشائر الكردية وشملت رحلته مناطق عديدة من كردستان والموصل ومناطق أخرى، وفي سنة 1818م نشر وقائع العشائر الكردية في كتابه الذي أصدره في لندن[2].

ز/ ويلم هود:

في بداية عام 1817 قام الضابط البريطاني المقدم وليم هود William Heude وهو من منتسبي كلية مدراس العسكرية، بزيارة إلى العراق شملت البصرة وبغداد وكردستان والموصل، وكان ضابط بريطاني يعمل في شركة الهند الشرقية، في طريقه من الهند الى لندن وبسبب وجود مشاكل بين الاتراك وقبائل العماره كان طريق الدجلة مغلقا فغير طريق رحلته من البصرة عبر شط العرب والفرات والأهواز ثم برا على الخيول وبالمركب مرة أخرى في نهر الغراف الى الكوت وبغداد[3].

[1] الرحالة البريطانيون في العراق حقائق وطرائف، https://www.almadasupplements.com//view.php?cat=5279، تاريخ الإطلاع: 2022/04/07، سا: 17:39.

[2] الرحالة البريطانيون في العراق، المرجع نفسه.

[3] سلام حسين عويد الهلالي، مدينة الشطرة العراقية في كتابات الرحالة الأجانب، ص3.

ح/ فرانسيس جسني:

ضابط بريطاني كلف بإجراء مسح لنهري دجلة والفرات وبيان صحتهما للملاحة، وألف كتابا عن مهمته وصدر كتابا آخر عن استجوابه في مجلس العموم البريطاني عن المشروع. كما قام بزيارات عدة لمدينة الفلوجة ابتداء من عام 1831م[1].

ط/ جيرارد لجمن:

ضابط بريطاني شهير، تولى مهام الضابط السياسي البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى، قام برحلة تجسسية وقدم من الهند إلى العراق في طريقه إلى لندن[2].

ي/ الميجر سون:

كانت رحلته من مخططات الجاسوسية البريطانية، حيث قام بإخفاء هويته وتنكر باسم ميرزا غلام حسين الشيرازي، استقر قرب السليمانية واستقبلته عشيرة الجاف، كما أعد كتابا ملحقا على القبائل الكردية وفروعها ومواطنها على الحدود العثمانية الفارسية[3].

[1] جمال هاشم أحمد، الفلوجة في كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة الأنبار، العراق أفريل 2020م. ص332.

[2] جمال هاشم أحمد، المرجع السابق، ص333.

[3] الرحالة البريطانيون في العراق حقائق وطرائف، المرجع السابق.

2/ دوافع اهتمام الرحالة بالعراق:

تباينت وتعددت دوافع الرحالة الأوروبيين عامة والإنجليز خاصة فيما يخص العراق منذ مطلع القرن التاسع عشر، وذلك بعدما بدأ التنافس الأوروبي للسيطرة والتوسع في الشرق، بحيث وفر الرحالة معلومات تفصيلية ودقيقة كانت جد مهمة لحكوماتهم، شملت مختلف الجوانب مما أسهم إلى حد بعيد في توجيه سياسة تلك الدول نحو المنطقة.

أ/ دوافع سياسية:

ارتبط جزء مهم من كتب الرحلات بمهمات سياسية أو دبلوماسية، سواءا كانت هذه الرحلات سرية أم معلنة، لتحقيق أهداف ذات صلة بالتوسع الاستعماري، وبالإمكان الإشارة هنا إلى أكثر من رحالة بهذا الخصوص، فعلى سبيل المثال نذكر رحلة العالم الدانماركي من أصل ألماني، كارستن نيبور في القرن الثامن عشر، بمعية بعثة ضخمة لدراسة الشرق الأدنى في كافة المجالات، السكان، المدن وطرق النقل، الآثار، وجمع المخطوطات النباتات، المعادن وغيرها، وقد ذكر معلومات عدة عن العراق ومناخه وتربته[1].

وكذلك رحلة العالم الأثار والدبلوماسي الالماني ماكس فون أوبنهايم الذي أعلن عن مكتشفاته الاثارية وعن مصادر الطاقة الجديدة الموجودة في العراق (النفط)، والتي استفاد منها السياسيون الألمان[2]، إضافة إلى ذلك نجد رحلة جيمس بكنغهام الذي زار شمال العراق الذي تحدث فيها عن وجود النفط في كركوك والتون كوبري[3].

---

[1] كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، د.ط، تر: محمود حسين الامين، تع، سالم الألوسي وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1965م، ص ص 19-21.

[2] حيدر جاسم الرويعي، تطور مفهوم الشرق في الفكر الاوروبي من خلال كتابات الرحالة الاوروبيين، مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، مج 10، ع 3 – 4، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة القادسية، 2011، ص 46.

[3] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 143.

وكان عدد غير قليل من هؤلاء الوافدين مرتبطين بدوائر المخابرات ويعملون بتوجيهها تحقيقا لأهداف إستراتيجية ومصالح عليا في منطقة الشرق الأدنى، ومن بين هؤلاء نذكر دور المخبر البريطاني **إدوارد لورنس*** الذي تمكن من قيادة الثورة العربية ضد الوجود العثماني في البلاد العربية، إضافة الى عميل المخابرات الأخر بمكتب المستعمرات البريطانية جون فليبي المعروف بالحاج فيلبي الذي حقق نجاحا كبيرا في الجزيرة العربية[1].

نجد من بين النساء الغربيات رحالات قمن بخدمة أوطانهن خدمة فاقت قدرات الرجال جرأة وجسارة، وتركن بصمات واضحة في تاريخ أدب الرحلات، ومن أشهرهن، جين دغبي (Jane Digby) 1807-1881م، وهيستر ستانهوب (Lady Hester Stanhope) 1776-1839م، وايزابيل بورتون (Isabel Burton)، والليدي آن بلنت (Lady Anne Blunt) وفريا ستارك (Freya Madeline Stark) 1893-1993م.[2]

إن الدافع السياسي من وراء هذه الرحلات التي قام بها هؤلاء الرحالة كان الهدف منها محاولة التعرف على الشعوب الإسلامية، لتسهيل عملية على السياسيين الغربيين، وكذلك العمل على تصدير ايديولوجيتهم وأفكارهم للدول الإسلامية[3].

---

* **إدوارد لورنس** : ولد 15 اوت 1888م موطنه الاصلي غالولي الواقعة في ايرلندا ، قضى دراسته في مدينة أكسفورد، وكان يعشق تاريخ الشرق ومصر القديم ، زار سوريا عام 1909م كما انظم الى البعثة العلمية المشكلة من طرف هوغارت (دراسة الاثار حول نهر الفرات في شمال شرق سوريا) ... عاش لورنس مع العرب و تعلم اللغة العربية كما اصبح يرتدي مثلهم ، شارك مع العرب في الثورة العربية الكبرى وهو يعلم بأن العرب لن يحصلوا على الاستقلال وذلك بعد اطلاعه على اتفاقية سايكس بيكو ، ومن جهة اخرى نسي العرب بأن لورنس بريطاني وولائه الاول والاخير يبقى لبريطانيا فقط ، للمزيد انظر يمينة فتحي ، لورنس العرب ودوره في الثورة العربية 1916م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2018 – 2019 ، ص 7 – 12.

[1] حيدر جاسم الرويعي، المرجع السابق، ص49.

[2] علي عفيفي علي غازي، كتابات الرحالة مصدر تاريخي، كتاب المجلة العربية، الرياض، ص 54.

[3] إسلام غانم، دوافع المستشرقين القديمة والمستعربين الحديثة في قراءة التراث، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، جويلية 2019م، ص 500.

ب/ دوافع اقتصادية:

كانت التجارة هي الدافع وراء الرحلات الأوربية التي سعت الى البحث عن الأسواق الجديدة لتصريف البضائع المصنوعة، والحصول على المواد الخام والأحجار الكريمة بأرخص الأثمان، يضاف إلى ذلك رغبة الاستيلاء والتوسع والسيطرة، وقد بلغ التنافس بين الدول الأوروبية ذروته حيث دفع البعض منها إلى تجنيد كل ما لديها من إمكانيات مادية وأدبية لتحقيق ذلك[1]، ومن بينهم البرتغاليين الذين سعوا إلى السيطرة على أحد طريقي التجارة الرئيسيين بين آسيا والبحر المتوسط ، وأراد الهولنديون شراء الحرير الفارسي[2]، أما بريطانيا فقد أرادت الحصول على طريق مختصر من أجل الوصول الى الهند ولذلك قامت بتعيين عدة رحالة لدراسة الوضع في العراق ومن بينهم جسني[3].

كانت بعثات الدول الأوروبية وسفاراتها وقناصلها يجوبون البلاد متنقلين بين أصقاعها وبواديها وجبالها، بحارها وصحاريها، ولم يفت في عضدهم صعوبة، ولم تثنهم عن متابعة أسفارهم مشكلة، ولا عاقهم عائق، وبعضهم قدم مع بعثات اقتصادية، فالفرنسي لوران دارفيو قام برحلة إلى الشرق على رأس بعثة تجارية أوفدها الملك الفرنسي لويس الرابع عشر[4].

ج/ دوافع اجتماعية:

قدم العديد من الرحالة إلى الشرق بهدف دراسة أوضاعه الاجتماعية، والتعرف على عاداته وتقاليده، وأحيانا اهتم البعض منهم بالصحراء لدراسة أحوالها الطبيعية وحياة سكانها من البدو والخيول العربية والحيوانات الأخرى والنباتات المختلفة الأنواع ، أما دومنجو باديا فقد كتب قبل الشروع في رحلته إلى الشرق: "بعد أن قضيت عدة سنوات في بلاد المسيحيين

[1] كارستن نيبور، المصدر سابق، ص4.

[2] عبيد علي بن بطي، المرجع السابق، ص188.

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، دار النفائس، بيروت، 2015م، ص85.

[4] سمير عطاالله، قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762-1950م، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، ص16.

أدرس علوم الطبيعة والفنون التي لا يستغني عنها الإنسان، عزمت أخيرا على زيارة بلاد المسلمين، ومن خلال أداء فريضة الحج سوف يتسنى لي دراسة سلوك وعادات وطبيعة البلاد التي سوف أمر بها، خدمة للوطن الذي اخترته مثواي الأخير"[1].

د/ دوافع ثقافية:

يقصد الرحال الغربي الشرق عامة، والعراق خاصة، لأجل التجول فيه والتنقيب عن الآثار الخالدة ومشاهدة ما شيده الأقدمون من الأبنية السامية، والقصور الفخمة والمدن العظيمة كمدينة بابل وأشور وأكد ونينوى وأور وغيرها من المدن الاخرى[2]. (أنظر الملحقين 6 و7) فيؤلف الكاتب كتابا مزينا بالرسوم والصور محتويا على جميع ما شاهده وسمعه من غريب الحكايات واصفا الآثار، وترجم ما وجده مكتوبا على صخورها[3].

ويعد الرحالة البريطاني المدعو هنري لايرد Henry layrad من المهتمين بعملية التنقيب ففي عام 1845م تمكن من التنقيب في مدينة نمرود (مدينة كالح القديمة) وكذلك في مدينة نينوى، حيث تمكن من استخراج العديد من القطع الأثرية النادرة وأرسلها الى لندن لتعرض في المتحف البريطاني، ثم قام لايرد ما بين (1849-1851م) بإجراء عمليات تنقيب في نمرود وفي بعض التلول الأثرية القريبة منها وتمكن من العثور على بعض القطع الأثرية[4].

قام بعد ذلك رحالة بريطاني آخر وهو هنري رولنسون H.C.Rawlinson وقام بعمليات تنقيب في بقايا بعض المدن الأشورية الموجودة في شمال العراق وساهمت اكتشافاته على مساعدة الباحثين فيما بعد على حل رموز الخط المسماري كما أجرى بعض عمليات التنقيب

---

[1] علي عفيفي علي غازي، المرجع سابق، ص52.

[2] حيدر صبري شاكر الخيقاني، كتابات الرحالة الأوروبيين احدى المصادر المهمة في تدوين تاريخ مدينة البصرة، مجلة ادب البصرة، مج2، ع63، 2012م، ص769.

[3] علي عفيفي علي غازي المرجع السابق، ص57.

حيدر صبري شاكر، مرجع سابق، ص722.

في بقايا مدينة نينوى وتمكن من العثور علي العديد من القطع الأثرية في قصر الملك الأشوري آشور بانيبال (668 – 627 ق.م) بما فيها محتويات مكتبة القصر[1].

هـ/ دوافع دينية:

عمد بعض المستكشفين والرحالة إلى زيارة الأماكن التي ارتبطت بسيرة المسيح عليه السلام إضافة إلى الرغبة في الحج، كما وجدت رغبة قوية لدى المسيحيين الأوروبيين في الوقوف على أوضاع إخوانهم المسيحيين الشرقيين خاصة عندما خضعوا لسيطرة قوى سياسية غير مسيحية مثل القوى الإسلامية، ولم يكن من اليسير معرفة ذلك دون الارتحال إلى هناك ومتابعة أوضاعهم عن كثب[2].

من المعروف أن الرحالة كان يحمل على عاتقه مهمة التبشير بعقيدته في العديد من الأماكن المكتشفة[3]، وخصوصا العربية التي لخص سبب اختيارها المبشر صموئيل زويمر بقوله: " إن من بين الدوافع إلى العمل في المنطقة، الأسباب التاريخية، فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية، التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا، في الخمسين سنة الأخيرة أن المسيحية كانت منتشرة فيها، في بداية عهدها"[4].

ومن الرحالة المبشرين نجد وليم جيفورد بلجريف، كارلو جورماني، تشارلز داوتي، الذين ارتحلوا من أجل أن يمضوا ويعلنوا أن عيسى اليسوع قد جاء، ولينشروا نور الإنجيل في بحر

---

[1] يامون عمر، التنقيب عن الأثار في بلاد الرافدين بين الهواية والنبش والعلم المنظم نشوء العمل الآثاري وتطوره، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2 ابو قاسم سعد الله، ص ص 104-108.

[2] محمد مؤنس احمد عوض، الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط ،01مكتبة مدبولى، القاهرة، 1992م، ص ص 16-17.

[3] محمدو بن محمذن، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل، مجلة العلوم الإنسانية، ع20، قسم التاريخ، جامعة نواكشوط موريتانيا، ديسمبر 2003م، ص158.

[4] خالد البسام، صدمة الاحتكاك حكايات الارسالية الامريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925م، دار الساقي، بيروت، ص ص 1-2.

الظلام، ونصح المبشر هنري جيسوب مجمع كرادلته بأن الكتاب المقدس ينبغي أن تلقى عظاته على أبناء الشيطان المكبلين والغارقين في الحزن والعذاب في الأراضي المحمدية الهمجية[1] ولكنهم عادوا دون أن يحققوا أهدافهم، فجاء أكثرية هؤلاء وهم يحملون الكره للإسلام، وجاء آخرون يدعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاءوا وفي نيتهم أن يستغلوا الإسلام، غير أن بعضهم أصبح يحترمه إلى أبعد الحدود والبعض الأخر أشهر إسلامه، أما أولئك الذين لم يتغيروا بعد هذه التجربة العميقة، فقد ماتوا بأيديهم[2]، ومن جهة أخرى نجد أن المبشرين وعلى رأسهم **القسيس بطرس رئيس دير كلوني***، قد كانوا سبب في ظهور حركة **الإستشراق*** من خلال السعي إلى ترجمة القرآن الكريم واللغة العربية الى اللاتينية في محاولة منهم إلى معرفة ديانة ولغة المسلمين من جهة وبدافع نشر المسيحية ومحاربة الإسلام والمسلمين من جهة أخرى[3]، ولهذا حرصت القيادات الدينية على دفع الرحالة لتعلم اللغة العربية والدين الاسلامي بغية القضاء على الفكر الاسلامي[4].

---

[1] عبيد علي بن بطي، مرجع سابق، ص228.227.223.

[2] عطا الله، المرجع السابق، ص301.41.

* **القسيس بطرس دير كلوني:** وُلد بطرس عام 1092م في فرنسا، نذره أهله للرهبنة منذ صغره، وفي عُمر الثلاثين ترأّس دير كلوني (Cluny) الواقع جنوب فرنسا، ومن خلال هذا المنصب بدأ تطبيق رؤياه لإعادة تجديد المسيحية في مواجهة المنافسة الحامية التي تواجهها في العالم مع الإسلام. للمزيد انظر: أحمد متاريك، بطرس المبجل والاسلام. www.ida2at.com . تاريخ الإطلاع: 2022/03/25. سا 19:43.

* **الإستشراق:** هو الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الأسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده تشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق. للمزيد انظر: شاكر عالم شوق، الإستشراق أخطر تحد للإسلام. دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مج 3، ديسمبر 2006م، ص 65.

[3] إبراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب (دراسة الاطماع الأجنبية في العالم العربي)، ط1، دار الساقي، بيروت، 1996م، ص22.

[4] حيدر صبري شاكر الخيقاني، مرجع سابق، ص769.

و/ دوافع علمية:

يعد دافع حب المعرفة وتحصيل العلم من الدوافع المهمة التي جعلت بعض الغربيين يندفعون لدراسة الشرق، انطلاقا من الرغبة الذاتية والهواية الشخصية لهؤلاء الرحالة **المستشرقين*** وتمكن بعضهم من تحقيق انجازات علمية جيدة من خلال الدراسات والأبحاث القيمة التي قاموا بها عن الشرق[1].

يقول لودفيكودي فارتيما في هذا السياق : "إن سألني أي إنسان عن سبب رحلتي هذه فمن المؤكد أنه لا يوجد سبب أفضل من القول إن رغبتي المتقدة في المعرفة، التي دفعت الكثيرين من الناس لرؤية العالم ومعجزات الخالق...، فإنني عزمت على زيارة ووصف الأماكن التي ليست معروفة معرفة كافية "[2]، وكان هدف رحلة شارل هوبير البحث عن العلم والمعرفة وفي ذلك يقول: "استفسر (الأمير ابن رشيد) عن هدف رحلتي...، فهو لا يعتقد أبدا أن العلم وحده يدفع أيا كان للسفر في صحاري الجزيرة العربية حيث لا يرى هو فيها أي شيء علمي على الإطلاق"[3].

اتخذ بعض الرحالة من الترحال وسيلة لجمع المعلومات الجغرافية، ووصف المناطق وعادات الشعوب وأحوالهم المعيشية[4]، فالرحالة يرسل لجمع المعلومات والأخبار، وليدون المشاهدات لصالح بلاده أو الجهة التي أوفدته، ويكون الرحالة عبارة عن مغامر متمرس من

---

* **المستشرقين:** المستشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاديميون الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والحضارة العربية وبقضايا العالم العربي وبالدين الإسلامي. للمزيد انظر: محمد فتح الله الزيادي، الإستشراق أهدافه ووسائله، ط01، دار قتيبة، ص 16.

[1] حيدر صبري شاكر الخيقاني، المرجع السابق، ص 769.

[2] روبن بذول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، تر :عبد الله أدم نصيف، جامعة الملك سعود، الرياض، 1989م، ص23.

[3] شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882م، ط1، تر: إليسار سعادة، دار ألف، بيروت، لبنان، 2003م، ص52.

[4] عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار، كتابات الرحالة الغربيين مصدرا لتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مجلة الدارة، ع1، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة، محرم 1422هـ، ص21.

الدرجة الاولى وعلى علم بتاريخ المنطقة القديم والحديث[1]، وعن هدفه يقول أوبنهايم: "...حرصت على الحديث عن البلاد والناس، عن تطورهم التاريخي، وعن انتماءاتهم العرقية والدينية..."[2].

ز/ حب السفر والترحال:

امتاز الأوروبيين منذ بداية الفترة الحديثة بحب الاطلاع مدفوعين بروح المغامرة والشغف بالأسفار والترحال، كما سعوا إلى التعرف على المناطق الجديدة قصد دراستها، وذلك لتقديم صورة عنها للغير[3]، ومن هذه الرحلات " رحلة الليدي آن بلنت الى العراق " قبائل بدو الفرات 1878م " و" رحلة فريزر الى بغداد 1834م " وغيرهم.

لقد سحر الرحالة بالجزيرة العربية[4] رغم صعوبة وقساوة ومشقة الحياة بها إضافة إلى عدم التكيف مع حياة البادية[5]، التي كانت تتمتع بالحرية والأمان حسب قول آن بلنت: " أصبحنا ثانية تحت سيطرة القانون العثماني، إنه المكان المتوسط بين الحرية المطلقة في البادية والقيود الأوروبية "[6]، " ومن هذا المشهد علمت أن البادية تنعم اليوم بأمان "[7] وهي عند المس بيل: " ... الحنين الى البادية، حيث ينمو العشب ويتدفق الحليب في الخيام السود، فيرفل الإنسان والحيوان بأثواب الرخاء..."[8]

---

[1] علي بن إبراهيم النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط2، بيسان للنشر والتوزيع لبنان، 2011م، ص63.42.39.

[2] ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج لبنان وسوريا، ج1، ط1، تر :محمود كبيبو، مر، ماجد شبر، دار الوراق للنشر المحدودة المملكة المتحدة، 2008م، ص11.

[3] محمدو بن محمذن، مرجع سابق، ص ص 155-157.

[4] سمير عطاالله، المرجع السابق، ص12.

[5] ويلفرد ثيسجر، الرمال العربية، ص47.

[6] الليدي آن بلنت، قبائل بدو الفرات 1878م، ص394.

[7] الليدي آن بلنت، المصدر نفسه، ص301.

[8] الميس بيل، العراق في رسائل الميس بيل 1917-1929م، ط1، تر: جعفر الخياط، تق عبد الحميد العلوجي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2003م، ص74.

وهناك أيضا سبب أخر يتمثل في الرغبة الملحة في التمتع بسحر الشرق وحبه وغموضه ومشاهدة معالمه، بوصفه عالما غريبا عن أعين الأوروبيين، وفي هذا يقول ديللافاليه: " كان يدفعني شوق شديد منذ زمن طويل للتوغل في الشرق خاصة...، فأزور تلك الأقطار التي طالما سمعنا عنها، وأطلع على أمور كثيرة جديرة بالاهتمام، وأتمحصها بنفسي لإشباع رغبة كانت كامنة في نفسي" [1]، ويذكر بوركهارت في رسالته لوالديه: " ثم تشرق الشمس في أبهة لا يمكن وصفها وتغمر هذا البحر الرملي... وأي قلب خال هو القلب الذي لن يمجد خالقه"[2].

ح/ دوافع أخرى:

تجلت بعض الدوافع الأخرى لدى الرحالة فمنهم من ضاقت به دنياه فيسافر بحثا عن عوالم أرحب، وكانت رحلة آن بلنت وزوجها، بهدف البحث عن الخيول العربية الأصيلة، أما الإسباني دي مسورس فقد كلف بمهمة البحث عن الحصان العربي الأصيل في شبه الجزيرة العربية، أما عن دوافع الرحلة عند المرأة، فقد نبعت من الرغبة في تأكيد استقلاليتها، وتحمل مشقة الطريق ومجابهة مخاطره، وكثيرا ما تتساوى النساء مع الرجال في القيام بالرحلة بدافع الهروب من واقع غير مستحب، ولإحداث تغيير في الذات[3].

كخلاصة للفصل يتجلى لنا مدى اختلاف وتباين دوافع واهتمامات الرحالة بالشرق عامة والعراق خاصة، من أجل تحقيق غاياتهم الشخصية من جهة وتطلعات حكوماتهم الإستعمارية من جهة أخرى.

---

[1] ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، ط ،1تر: بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2016م، ص19.

[2] سمير عطاالله، المرجع السابق، ص54.

[3] علي عفيفي علي غازي، كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية، ط1، قنديل للطباعة والنشر، دبي، 2020م، ص ص 57-58.

المبحث الثاني:

رؤية العراق السياسية والاقتصادية من خلال كتابات الرحالة الإنجليز

1- الرؤية السياسية

2- الرؤية الاقتصادية

1/ الرؤية السياسية:

تمتع العراق بالحكم الذاتي في عهد المماليك 1750-1831م، فترة حسن باشا وابنه أحمد[1]، حيث استغل حسن باشا الضعف الذي انتاب حكومة بغداد وحاجتها إلى والي قوي يستقر فيها، من أجل أن يضع خطة معينة للحد من مشاكل البلاد وإنقاذها من الفوضى المتردية، بحيث هيأت الظروف السياسية الفرصة لإسناد العراق إلى وال ذو نشاط جم: وهو حسن باشا[2].

سعى حسن باشا إلى توحيد العراق من خلال القضاء على تمردات العشائر التي طالما كانت تشكل خطرا على الحكومات السابقة، حيث أكد الرحال البريطاني جاكسون في هذا السياق: "... هذه البلاد في حالة حرب مستديمة وكثير من السكان لا يخضعون للنظام، وهم يعيشون على الفطرة ولا يتأثرون بالعواطف النبيلة، فهم يقتلون ويسلبون من دون وازع كل من يستطيعون التغلب عليه، وهم في حرب مع العالم كله ما عدا عشيرتهم..."[3].

فشلت محاولات الحكومة العثمانية في إسناد العراق الى وال عثماني، فاستمر حكم المماليك لغاية 1831م، حيث تعاقب 14 واليا، ثلاثة منهم من غير المماليك، فبالرغم من محاولات السلطات العثمانية إبعاد المماليك عن الحكم إلا أنها فشلت بسبب شعور العراقيين بقرب الولاة المماليك منهم، لأنهم تربوا في العراق وتقربوا إلى السكان وتثقفوا بثقافتهم[4].

---

[1] جعفر عباس حمدي، نوري عبد الحميد وآخرون، تاريخ البلاد العربية الحديث والمعاصر، ط1، وزارة التربية المديرية العامة للمناهج، العراق، 2015، ص7.

[2] سعيد السلطان، دور المماليك في الدولة العثمانية في المشرق العربي 1516-1812م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2015م، ص114.

[3] جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797م، ط1، تر: خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2000م، ص57.

[4] جعفر عباس حمدي، نوري عبد الحميد وآخرون، المرجع نفسه، ص8.

كان داود باشا آخر حاكم مملوكي 1812-1831م، أحد باشوات بغداد السابقين[1]. فيقول عنه البريطاني لونكريك: "... وكان توليه الباشوية معروفا بالاعتدال العظيم وبأطيب الآمال التي علقت عليه، فقد عفا عن ثوار كركوك..."[2]، ويضيف قائلا على أن فترة حكم داود باشا لم تخرج عن الطراز المألوف في الاضطرابات الداخلية والعلاقات الخارجية مع إيران[3].

استطاع داود باشا ترسيخ أقدامه وتوطيد سلطته طوال فترة حكمه، حيث ذكر الرحال الإنجليزي جيمس بيلي فريزر في هذا الصدد: "...فكان عنده جيش كامل قوامه ثلاثون ألف خيال، وكان خمسة أو ستة آلاف منهم على درجة غير يسيرة من الضبط والانتظام ومجهزين بمدفعية فعالة..."[4] إلا أنه لاقى سخطا من الحكومة العثمانية بسبب قلة ما يقدمه لخزينة السلطان، بطبيعة الحال اعتبرته حكومة إسطنبول أنه كان يتبع خطوات محمد علي باشا في مصر، ويستهدف جعل نفسه مستقلا عنها.[5]

قرر السلطان العثماني محمود الثاني خلع داود باشا من منصبه، فأوفد رسولا ليحاول تنفيذ هذا القرار، رأى داود باشا في هذا المبعوث خطرا عليه، فبدأ برسم خطة لمواجهة هذا الخطر، فبادر إلى عقد مجلس طوارئ لبحث الموقف، فاتفق المجتمعون على إعداد خطة لقتل المبعوث والتخلص منه كونه مصدر الفتن والقلاقل، وبالفعل تم تنفيذ هذه الخطة حيث دخل عليه رجال داود وقتلوه خنقا.[6]

كان لمصرع صادق أفندي (مبعوث السلطان) صدى مدوي في الأستانة وفي بقية الولايات العثمانية، فكان من الطبيعي أن يقرر السلطان العثماني استخدام القوة المسلحة لطرد

---

[1] جيمس ريموند ولستيد، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، تر: سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، بغداد، ص56.

[2] ستيفن همسلي لونكريك، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث، ط6، تر: جعفر الخياط، 1985م، ص288.

[3] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر نفسه، ص289.

[4] جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1843م، ص119.

[5] جيمس بيلي فريزر، المصدر نفسه، ص119.

[6] جيمس بيلي فريزر، المصدر نفسه، ص200.

داود باشا من بغداد والقضاء على الحكم المملوكي بشكل نهائي في العراق، فأصدر أوامر إلى الباشوات في جميع الولايات بأن يقطعوا علاقاتهم مع هذا الباشا المتمرد، ونظر السلطان حوله ليكلف أحد باشواته بمهمة قهر داود باشا ومماليكه والتغلب على تشكيلاته العسكرية الجديدة التي نظمها وفق الأساليب العسكرية الحديثة، وقد كانت هذه المهمة شاقة، خاصة بالنسبة لباشا يتمتع بحب الأهالي ويمتاز بالرغبة الصادقة في الإصلاح.[1]

عرض السلطان منصب الوزارة في بغداد لأحد باشواته المخلصين، وهو على رضا باشا اللاز والي حلب، وكانت حلب على علاقة قوية بالعراق والتبادل التجاري والثقافي بين البلدين يكشف أسرار الولايتين، ويربطهما برباط المصلحة الاقتصادية التي قويت بشكل ملحوظ عندما بدأ الإنجليز يبدون اهتماما بطريق الفرات كطريق دولي بين الهند وأوروبا، وتعتبر حلب أحد أركان هذا الطريق الهامة، وكان علي رضا باشا يميل كل الميل إلى المشاريع الإنجليزية في العراق، فكان يرغب بأن يخضع بغداد للحكم العثماني المباشر، فطلب من سلطات الباب العالي أن توجه إليه ولاية بغداد وتوابعها بالإضافة إلى حلب وأن يدفع له الباب العالي ستة آلاف كيس من النقود على أن تسترد من واردات بغداد بعد ذلك، فوافق السلطان العثماني على مطالبه.[2]

منذ مصرع المبعوث العثماني، شرع داود باشا في التحظير للحرب المتوقعة سياسا وعسكريا، فبذل محاولات في البلاط السلطاني من أجل أن يعيد المياه إلى مجاريها، وأعلن أنه سيدفع ما يطلبه السلطان من أموال، لكن المسألة لم تكن مسألة أموال فهي أخطر من ذلك فأسرع داود إلى استكمال استعداداته العسكرية وأصدر الأوامر إلى الجيوش التي كان قد سيرها بأن تتخذ مواقعها، وأرسل يوسف أغا على رأس كتيبة من المشاة النظاميين عددهم ألف وخمسمائة (1500) فارس تقريبا إلى كركوك، كما وجه أنصاره ومؤيديه من البدو الى دير

[1] سعيد السلطان، المرجع السابق، ص168.

[2] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ص 317-318.

الزور، ومن الواضح من خلال هذه التحركات العسكرية إنها كانت ترمي إلى هدف واحد وهو أن تتصدى مقدمة قوات داود هذه لجيوش السلطان الزاحفة.[1]

وبينما كان الجيشان يكملان استعداداتهما للصراع المرتقب فاجأ الطاعون العراق في تشرين الأول عام 1830م، وكان قد انتشر في تبريز وكركوك واجتاح كردستان، فشعر داود باشا بخطورة الموقف خصوصا إذا ما اجتاح الوباء بغداد في تلك الظروف الصعبة، وفعلا أخذ الوباء يتقدم باتجاه بغداد فانتشر الرعب وسط سكانها، وسرعان ما اشتدت وطأة الوباء بسرعة مذهلة، فبدأ الاضطراب يعم العراق وأخذ الناس يهربون من المدينة، وارتفع متوسط الوفيات بسرعة ليبلغ في الأيام الثلاث الأولى مائة وخمسون (150) ضحية في اليوم، ومما زاد الطين بلة فيضان نهر دجلة، حيث دمر الفيضان عددا كبيرا من المنازل، وارتفع معدل الوفيات في يوم 11 نيسان 1831م إلى ألف ومئتان (1200) ضحية، وترك الموتى دون أن يدفنوا لأن الوباء أصاب غالبية سكان المدينة. ولم تعد هناك قدرة على حمل الجثث ودفنها فتركت دون دفن، وهرب نصف سكان بغداد من المدينة، ولم ينقذ بغداد من الدمار التام سوى انخفاض مستوى دجلة.[2]

ويعقب جيمس ولستيد في هذا الصدد حين يقول: "...بعد أن غادرت المدينة في المناسبة السابقة، أخذت المياه تنخفض بالتدريج، لكنها خلفت ورائها الكثير من البرك الآسنة وقد غدا من شدة مضايقة هذه البرك أنها أصبحت تشترك مع الروائح الكريهة المتصاعدة من الأجساد المتفسخة الملقاة في خندق المدينة، الأمر الذي نجم عنه انتشار الحمى التي غدت آثارها مميتة عندما ارتفعت حرارة الجو فكانت أشبه بالطاعون الذي كان زحفه قد توقف آنذاك..."[3]

---

[1] سليمان فائق بك، تاريخ المماليك في بغداد، تر: محمد نجيب الأرنمازي، مطبعة المعارف، بغداد، 1991م، ص 43.

[2] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ص 317-321.

[3] جيمس ريموند ولستيد، المصدر السابق، ص114.

استغل علي رضا اللاز ما آلت إليه بغداد من دمار بعد الفاجعة، حيث يشير جيمس بيلي فريزر في هذا الموضوع: "...فقد أفنى الطاعون قوة داود باشا العسكرية بالكلية، ولأجل أن يكون بوسعنا تكوين فكرة عن التدمير التام الذي أصاب جيشه العتيد، يجدر بنا أن نذكر أن قطعة عسكرية عدتها ألف رجل مدربة تدريبا عسكريا على النسق البريطاني... لم يبقى منها على قيد الحياة سوى رجل واحد، وقد ترك الباشا بالفعل لوحده في دار كان قد اضطر للالتجاء إليها حينما تهدم قصره..."[1]

وعن جيش السلطان يقول ولستيد: "...وأعقب هذا كله حدوث مجاعة، ولكن دواعي السخط لم تتحرر منها هذه المدينة المقدسة. كان جيش السلطان على الحدود الشمالية يراقب بهدوء تقدم الفوضى، وما إن توقفت الفوضى حتى بادر الجيش بعد ذلك بوقت قصير الى محاصرة المدينة، بقي المماليك يدافعون ببسالة عن المدينة لعدة أيام، ومن ثم اضطروا بعد الموت جوعا إلى الاستسلام. وهكذا تم قتل المماليك جميعا، واستبيحت المدينة لأعمال النهب والسلب، وأصبح الآن أكثر من ثلثيها خرابا، وبسبب هذه الكوارث تناقص عدد السكان فيها من مائة وخمسين ألف نسمة إلى عشرين ألف نسمة ليس إلا..."[2]

هكذا عاد العراق إلى حكم الدولة العثمانية المباشر، لكن ظروف هذه العودة لم تحل من دون تفاعله مع ما كان يجري في الأقطار العربية الأخرى وبالخاصة بلاد الشام والجزيرة العربية، وقد تمثلت في بداية القرن التاسع عشر ميلادي بما نتج عن قيام الدولة المصرية التي أسسها **محمد علي باشا*** في مصر وبلاد الشام والسودان والحجاز، فقد أدى انتصار هذا الأخير على الدولة العثمانية في بلاد الشام عام 1832م إلى عدد من التحولات السياسية داخل

---

[1] جيمس بيلي فريزر، المصدر السابق، ص123.

[2] جيمس ريموند ولستيد، المصدر نفسه، ص114.

***محمد علي باشا:** ولد سنة 1769 في مدينة كافالا المقدونية (في اليونان حاليا)، وتوفي في 2 أغسطس 1849 في الإسكندرية– مصر، وهو باشا ووالي مصر في الفترة (1805–1848)، ومؤسس السلالة التي حكمت مصر منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. ويعد مؤسس الدولة المصرية الحديثة

للمزيد أنظر: https://www.ibelieveinsci.com/ تاريخ الإطلاع: 2022/06/15. سا: 10:10.

الولايات العراقية، من ذلك أنه نشبت انتفاضات في عدد من المدن العراقية الكبيرة ضد السلطات العثمانية، وجرت اتصالات عديدة بين المنتفضين والقيادة المصرية في بلاد الشام تدعوها إلى التدخل وضم العراق إلى الدولة الجديدة. حيث تعهد شيوخ القبائل على اخراج العراق من قبضة العثمانيين، هذا ما زاد من تأزم لموقف العثماني في بغداد وكان الوضع السياسي في هذه المدينة قد بلغ ذروة تأزمه وهو في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي رضا باشا اللاز.[1]

كان الوالي مدحت باشا الذي عين سنة 1868م واحدا من كبار الشخصيات المصلحة في التاريخ العثماني فقد وصفه البعض بأنه مصلح بغداد[2]، فبالرغم من فترة حكمه الوجيزة 1868-1872م إلا أن أهميتها في تاريخ العراق كانت بارزة، حيث اهتم مدحت باشا بأحوال الولايات العراقية في الإمبراطورية التركية وفي علاقاتها الخارجية، واهتم بالانقلابات الدستورية والإدارية الحاصلة داخلها، كما كرس مجهوداته لقمع الدسائس ومعالجة الوضع القبلي.[3]

بخصوص انجازات مدحت باشا يذكر لونكريك: "...على أن نظره للأمور وفعاليته الوطنية، كلها قد أنجزت أعمالا أعظم من الأعمال التي تمكنت ثقافته الناقصة من تشويهها فقد أكمل ما بدأ بتشييده نامق باشا (الذي تولى ولاية بغداد قبل مدحت باشا) من الأبنية العامة وأضاف إليها شيئا كثيرا، فإن اصدار جريدة الزوراء 1869م (أنظر الملحق 08)، وتأسيس المعامل العسكرية، وبناء مستشفى ودار للعجزة وميتمة وعدة مدارس، ومد خط للترامواي إلى الكاظمية كانت كلها مع الروح التجددية التي دلت عليها، وقد طبقت الإصلاحات العسكرية والمدنية في بغداد لأول مرة في عهد مدحت باشا بعد أن كانت مطبقة مدة طويلة من الزمن في ولايات أخرى..."[4]

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، ص65.

[2] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، ص335.

[3] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص333.

[4] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ص 359-360.

2/ الرؤية الاقتصادية:

نظرا لأهمية العراق الاقتصادية المتمثلة في موقعه الاستراتيجي حيث يعتبر همزة وصل بين الشرق وأوروبا، واشرافه على الطرق التجارية الكبرى، إضافة لاحتوائه على المعابر المائية (نهري الدجلة والفرات)، هذا ما جعل الرحالة يهتمون بالجانب الاقتصادي، بحيث يتجلى هذا الاهتمام من خلال ما قدموه في كتاباتهم.

أ/ الصناعة:

إن أبرز ما يميز الصناعة في العراق خلال القرن التاسع عشر ميلادي أنها كانت متأخرة جدا، وذلك لعدم تركز رأس المال اللازم من أجل الارتقاء بها وجعلها قادرة على منافسة المنتوج الأجنبي الذي كان يغزو الأسواق العراقية لما له من جودة وقلة تكاليف إنتاجه من جهة، وتفضيل السكان للمنتوجات الاجنبية من جهة أخرى، ويعود هذا التفضيل إلى بقاء الصناعة في العراق بطابعها الحرفي مثل: الحدادة، النجارة، والحياكة. بمستوى إنتاج رديء ولا يسد حاجة السوق المحلية، وفي هذا يقول جاكسون:"... والمصنوعات الأوروبية نادرة وغالية والناس يفضلون المصنوعات الإنكليزية على ما سواها فأقمشتنا وساعاتنا قد تباع بأكثر من ضعف السعر الذي تباع به في إنكلترا ".[1]

وهذا التدهور كان حصيلة متغيرات اقتصادية وسياسية شهدها العراق خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكان لها التأثير الواضح في قطاع الصناعة ودور في تدهوره منها نذكر:

حالة عدم الاستقرار السياسي وتمرد العشائر العراقية ضد الحكومة العثمانية التي لطالما كانت تسعى لإيجاد حل لهذه العشائر التي ناشدتهم بقولها (كفو عن عيشتكم هذه، وعيشوا

[1] جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797، ص 35

على الطريقة الحسنى التي سنوفرها لكم)، لأن الحل الحقيقي لمشكلة العشائر كان يتمثل في توفير حياة أخرى لهم غير الحياة التي يعيشونها.[1]

تعرض العراق للكوارث الطبيعية والتي أودت بحياة الكثير من العراقيين بما فيهم الحرفيين، وفي هذا الصدد يقول فريزر:"... وما حلت الليلة الثانية حتى كان القسم الأسفل من المدينة بأجمعه تحت الماء، فسقط على ما يقل عن سبعة آلاف دار مرة واحدة، دافنة بذلك المرضى والذين كانوا يعانون سكرات الموت والأموات والأصحاء في رمس مشترك، والمقول استنادا إلى مراجع موثوقة أن ما لا يقل عن خمسة عشر ألف شخص مريض وغير مريض أتى عليهم الماء فأغرقهم ... " ولقد علق المستر غروفز على هذا الحادث بقوله: "...ليس هناك شيء يمكن أن يعطي فكرة مثيرة عن مقدار تعاسة الأفراد وبؤسهم في هذه الفترة أكثر من مرور هذه الحادثة المخيفة من دون ملاحظة تذكر أو جهد يبذل للتفريج عن المصابين بوطأتها، بينما كانت حادثة مثل هذه إذا وقعت في أي وقت آخر لا يتردد ذكرها على كل لسان فقط وإنما تبذل أيضا أشد الجهود وأعظمها لمساعدة المتضررين بها..."[2]

سيطرة الروح التجارية على رأس المال العراقي وميله إلى ممارسة نشاط الاستيراد وفي هذا تقول الليدي درور "...وتجلس النسوة المسلمات وقد ارتدين العباءات السود على درجات دكاكين يساومن على الأقمشة المستوردة من مانشستر، وقد يعمدن إلى اختيار الحرائر من دكان مجاور ... "، وقالت أيضا "...هلو. يا أختاه! انظري إلى هذه السجادة الفارسية... إنه صوت البائع، تسمعه وأنت تمر على باب دكانه..."[3]

[1] ستيفن همسلي لونكريك، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 347.

[2] جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، ص ص 104-105.

[3] الليدي درور، على ضفاف دجلة والفرات، تع: فؤاد جميل، ط1، دار الوراق، لبنان، 2008، ص ص 118-120.

هيمنة **العلاقات الإقطاعية*** على المجتمع العراقي الذي كان بمعظمه ريفي حد من الاهتمام في القطاع الصناعي، وفي هذا يذكر لونكريك: "... فقد كانت الاراضي في العراق تتعاورها ادعاءات بالملكية كثيرة، لأن المقاطعات كانت توهب هبة مطلقة من جانب داود باشا وعلي رضا، فظل أحفاد أصحاب **التيمار*** الاقطاعيين متمسكين بالوثائق والعقود التي ورثوها بمقتضى منزلتهم الاقطاعية، وكان بيع الاراضي الحكومية وشراؤها جاري العادة منذ أجيال من غير علم الحكومة أو اعترافها، وكان مجرد تملك القرويين والشيوخ الذين تنتشر عشائرهم في أراض واسعة، لهذه الأراضي مدة طويلة على هذه الطريقة مدعاة للإدعاء بالملكية الصرف (ملك)..."[1]

ظل الإنتاج الحرفي يؤلف القاعدة الرئيسية للصناعة في العراق، فهو لم يتعدى كونه بقايا للصناعات الحانوتية والمنزلية التي سبق وان كانت مزدهرة في عصور سابقة، كذلك كانت معظم الآلات بسيطة وتدار بالأيدي وذلك حسب قول الليدي درور: "... وهنا يجلس النعالون في ضوء خافت، إنهم يعلقون النعال الزاهية الألوان في دكاكينهم، وفي جانب آخر تجد السراجين، وهم يستخدمون في صناعة الجلود الملونة المطرزة ويتخذون لها طرزا دقيقة وعلى مقربة منهم يعمل صانعوا الأعنة والألجمة، ومما تزين به الفرس العزيزة مفارش صوفية ذوات ألوان فاتحة تخاط فيها الودع والخرز وما إلى ذلك ... "، وقولها أيضا: " ... وهذا طريق ثانوي يؤدي إلى باعة الأحزمة. إنهم يثقبون الأحزمة الجلدية بآلة خاصة، والرجال يلفونها على ملابسهم عند الخصور، إنها سميكة قوية، ولقد أثارت مهارة هؤلاء الصناع ودقتهم إعجابي

***العلاقات الإقطاعية:** هو النظام الذي يقوم في البيئات الزراعية على أساس علاقات معينة بين المالك الكبير والفلاحين المشتغلين في أرضه. للمزيد أنظر: فؤاد زكرياء، الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية، دط، مؤسسة هنداوي، ص16.

***التيمار:** هو نظام اقتصادي اتبعته الدولة العثمانية في أقاليمها، وقد أوجدته السلطة من أجل توفير العيش للفرسان الذين يعملون في الجيش مقابل خدماتهم العسكرية وبقائهم تحت سلطتها وإمرتها. للمزيد أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص27. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص112.

[1] ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص ص 367-368.

دوما، وسوق صناعة الفضة ضيق متعرج وفيه تصنع الأساور والحجول وسائر ما تتزين به النساء..."[1]

وعلى الرغم من بدائية وسائل الإنتاج في العراق، أخذ الإنتاج الحرفي بالتدهور نظرا لرواج البضائع المستوردة، ويتجلى هذا التدهور في تراجع مردود صناعة النسيج العراقي الذي لم يعد قادرا على منافسة المنتجات الأجنبية المعروفة بجودتها وفي هذا يذكر بكنغهام: "...ولا توجد سوى سوق واحدة تباع فيها السلع الغالية وهذه أفضل الأسواق، وهي تغص على الدوام بأصناف عديدة من السلع الثمينة ما تنتجه اوربا والهند..." وقال أيضا:"... والحوانيت في هذه الأسواق مزودة جيدا بالسلع الهندية، غير أن هذا الذي توقعت أن أجده من أحسن أجزاء بغداد " كما اضاف في ذات السياق:"...وفي الوقت ذاته قيل أن المتاجرة بالسلع الهندية التي توسعت مؤخرا في بغداد قد تجاوزت حدودها السابقة..."[2]

وهذا دليل على توغل وسيطرة المنتجات الأجنبية في الأسواق العراقية.

تعتبر صناعات الغزل والنسيج هي الأكثر رواجا في العراق خلال القرن التاسع عشر إلى جانبها بعض الصناعات البدائية الأخرى، وانتشرت هذه الصناعات في مختلف المدن العراقية، ففي الموصل أدى تركز النشاط الحرفي وتقدم الصناعة اليدوية إلى خلق ظروف جديدة للعمل، والخروج من نطاق الحرفة المنزلية إلى مجال العمل الجماعي الأكثر رقيا، وذلك لتحقيق إنتاج أكثر وأسرع يفي بمطالب التجارة الواسعة، فكان من نتيجة هذا أن نشأت مصانع بسيطة الإنتاج لمختلف السلع وخاصة الأنسجة بأنواعها، وفي هذا يقول جاكسون: " ... هناك عدة مصانع يجري تشغيلها وبعض مصنوعاتها تتفوق على المصنوعات الأوروبية فسروج الخيول وأحزمتها تظهر جدا أنيقة بوجه خاص، وهم يصنعون سجاد الحرير ويطرزونه بالأزهار فيظهر أحسن وأمتن من السجاد الذي نصنعه نحن، وهم مبرزون في صنع المطرزات الثمينة

[1] الليدي درور، المصدر السابق، ص ص 118-119.

[2] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 207.198.61

المدهشة للرجال والنساء معا، ولديهم العديد من مصانع النحاس والحديد، وهناك كميات كبيرة من مختلف المواد التي تصنع من هذه المعادن يتم إرسالها عبر نهر دجلة فهو الجنوب حتى البصرة ..."[1]

أما بكنغهام فيقول: "...الصناعة الوحيدة التي تمارس في الموصل على نطاق ما هي صنع الملابس القطنية التي تصبغ باللون الأزرق لإكساء الطبقات الفقيرة".[2]

وبالحديث عن مدينة البصرة فقد اشتهر أهلها بالصناعات الحرفية المنزلية، ولاسيما غزل الصوف والقطن فضلا عن صناعة الحصران والفخار، إلى جانب صناعات حديثة مثل: صناعة السفن ومعامل كبس التمور، باعتبار البصرة من بين المدن العراقية المعروفة بوفرة التمور.[3]

على العموم فقد بقيت الصناعة في العراق تفتقر لمقومات الصناعة المتطورة، وذلك يرجع إلى عدم توفر الأيدي العاملة الفنية والمواد الأولية ورأس المال اللازم. وبتالي فقدان القدرة على منافسة الصناعات الأجنبية، التي اجتاحت الأسواق العراقية بكثرة وبأسعار أقل من المنتج الحرفي العراقي.

ب/ الزراعة:

اشتهر العراق بتنوع محاصيله الزراعية، فقد كانت بغداد تزرع الحبوب (القمح والشعير) والتمور والحمضيات والقطن والتبغ، أما البصرة فقد أكد كل الرحالة الانجليز الذي زاروها أنها مدينة زراعية، فالنخيل أهم مزروعاتها بلا منافس، وتتنوع أصنافه الى حد يعجز فيه المرء عن ذكر العدد، وقد أعجب معظم الرحالة بمذاقه، كما تزرع القمح والأرز الذي يزرع في القرنة حتى

---

[1] جاكسون، المصدر السابق، ص 105.

[2] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 66.

[3] حيدر لازم عزيز، تاريخ البصرة الاجتماعي والاقتصادي في ضوء كتب الرحالة الاوربيين "القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر" https://www.basrahcity.net/pather/report/basrah/141.html#a3 تاريخ الاطلاع: 2022/04/03م، سا: 03:32

حدود مدينة البصرة، فضلا عن زراعة انواع عدة من البقوليات، كما كانت تزرع فيها شتى انواع الفواكه مثل الخوخ والتفاح والإجاص والعنب بكميات كبيرة بالرغم من مناخ البصرة الحار وكان يزرع فيها الورد لأغراض تجارية حيث يستقطر منه ماء الورد الذي يعد من أجود الأنواع ويصدر الى الهند والى بلاد الشام وكل المدن التي تتعامل تجاريا مع البصرة، وتمتاز هذه المحاصيل فضلا عن جودتها برخص أسعارها مقارنة بأسعار البلاد المجاورة مما جعلها تلقى رواجا في بغداد وبلاد فارس و**هرمز***، كانت البصرة تصدر كذلك كميات كبيرة من الحنطة الى الهند، وكان كل هذا الفائض من الانتاج يتحقق على الرغم من تخلف طرق الزراعة.[1]

بعد قرون من التطور المفترض، كان لزاما على هذه المدينة ان تتحول الى أكبر مصدر للغلة ومختلف المنتجات الزراعية، إلا انها تحولت الى مستورد ومستهلك لها وذلك بعد أن فسدت معظم بساتينها وفي هذا تقول الميس بيل: " ... فقد غدت بساتين النخيل التي أتمشى فيها مأهولة بالناس وفسدت أحوالها بالنسبة للنواحي التي كنت أتواخها".[2]

أما أهم محاصيل الموصل فقد لفتت انتباه كثير من الذين زاروا الموصل، فقد لاحظ بادجر أن إنتاج الولاية الأساس هو الحنطة والشعير، وأن إنتاجها على أيامه (أي منتصف القرن التاسع عشر) كان بكميات وفيرة جدا فيقول: "... والإنتاج الزراعي الرئيس هو الحنطة والشعير المتوفران بكثرة، إلا أنهما لا يكادان يفيان نفقة حرثهما، فكل مائة مثقال حنطة يباع اليوم (سنة 1850) بـ 8 فلوس، والشعير بـ 5 فلوس ... "

وكان تصدير الحبوب إلى المنطقة الجبلية المجاورة، وإلى العراق الجنوبي وبخاصة ولاية بغداد من الأمور الجارية على الدوام، حتى أن انقطاع الحصاد التام من الولاية المذكورة

---

* **هرمز**: من أهم جزر الخليج العربي تقريبا لانها تقع عند مدخله عند المضيق الذي يحمل اسم هرمز ايضا، وعرفت بهذا الاسم منذ القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ومر بها الرحالة الايطالي ماركو بولو كما اتخذها البرتغاليين مركزا لهم في المنطقه لكنهم طردوا منها بواسطة الانكليز والفرس سنة 1622 م. للمزيد أنظر: سالم سعدون، جزر الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م، ص ص 38-39.

[1] حيدر لازم عزيز، مرجع نفسه.

[2] الميس بيل، رسائل الميس بيل في العراق، ص 26.

رغم مساحتها الواسعة، ولاحظ المستر جروفز أنه كان بالإمكان ورود الحبوب بسهولة من الموصل.[1]

وعليه، فإن سبب هذا التنوع في المحاصيل الزراعية في العراق يعود لعوامل متنوعة: طبيعية وبشرية، فضلا عن المناخ والتضاريس ومدى توفر المياه، وهي عوامل تتظافر فيما بينها لتحدد درجة الاستثمار الزراعي وتنوع المحاصيل الزراعية.

ج/ التجارة:

يعتبر النشاط التجاري على صعيديه الخارجي والداخلي من بين أهم مقومات الحياة الاقتصادية الذي يؤشر إلى مدى التطور الاقتصادي لأي بلد من البلدان، ومن بينها العراق الذي شهد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تقدم كبير نسبيا في قطاع التجارة، الذي ارتبط انتعاشه بسلسلة من الإجراءات الحكومية التي ساعدت في تخفيض التعريفة **الكمركية*** على الصادرات بعد الاتفاقية التجارية للعام 1861م. وتنعكس مؤشرات الانتعاش التجاري في العراق في تنامي التجارة البريطانية مع ميناء البصرة، اذ ارتفع معدل السفن التجارية البريطانية الى البصرة سنويا من سفنتين إلى ستة سفن، فضلا عن تنامي عدد السفن التجارية العربية وفي هذا يذكر بكنغهام: "...ان التجارة قد زادت خلال السنوات العشر الأخيرة من سفينة واحدة الى ست سفن تحمل العلم البريطاني عدا السفن الأخرى التي تحمل الاعلام العربية وهذا يعد نتيجة للتساهل الكبير الذي اظهرته الحكومة الحاضرة في مطالبها، فالمطلعون على الأمور يقولون ان العسف الذي يتعرض له الناس هنا أقل منه في أي جزء من أجزاء الامبراطورية التركية، وان التجارة هنا لا تتعرض إلا لقيود ضيئلة ..."[2] ، وقال ايضا " هذا الاجراء والاعتدال

---

[1] سهيل قاشا، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، ص 46.

***الكمركية:** التعريفة الكمركية هي فريضة مالية تفرضها الدولة على السلع المستوردة والمصدرة, وهي إحدى أشكال الضرائب غير المباشرة التي تفرض على السلع والخدمات والتي تعد ضرائب سلعية، غالبا ما يتم نقل عبئها إلى المستهلكين النهائيين للسلع والخدمات. للمزيد أنظر: عدنان حسين يونس الخياط، واقع الضريبة الكمركية في العراق وامكانية تطويره في ضوء قانون التعريفة الكمركية رقم 22 لسنة 2010، دراسة اقتصادية، ع 43، ص43.

[2] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 204.

الذي ابدته الحكومة مما كان يحس به في كل مكان، انه زاد من النشاط في الميدان التجاري وحاز رضى جميع العاملين فيه، ومثل هذه الثقة في حكم المدن التركية لم تكن اعتيادية بصفة عامة.[1]

ساهم الاهتمام بالنشاط التجاري في العراق من جانب العثمانيين بالإيجاب على الحياة الاقتصادية عموما، فبعدما كان الاقتصاد العراقي مغلقا وقبليا، أي أن القبيلة كانت تنتج ما تحتاج إليه، أصبحت فيما بعد تنتج من أجل البيع والربح، وقام ملاك الأراضي لاسيما في المناطق الجنوبية بتحويل أراضيهم لإنتاج المحاصيل التجارية من أجل بيعها في الأسواق الخارجية بدافع الرغبة في الربح ومن جهة اخرى نجد أن الأسواق العراقية قد اشتهرت بالتجارة الحرفية المحلية، وفي هذا يقول سوانسن كوبر: " ... وهناك أسواق متعددة للنعالات والسروج وقد شاهدت أحد الشوارع الصغيرة تعرض فقط الأحزمة التي يرتديها الرجال والنساء والأولاد واعتقد ان هذه سمة خاصة ببغداد، وهناك بعض الأحزمة رائعة جدا إذ تمت حياكتها بدقة بخيوط ذهبية أو قضية وهي تكلف حوالي سبع أو ثمان شلنات للقطعة الواحدة، بينما تكون الأنواع العادية غير مكلفة ..."[2]

والملاحظ إن تجارة العراق الخارجية اعتمدت على المنتج الزراعي، إذ تصدر على الغالب المواد الغذائية والأولية، وتركزت الصادرات الزراعية في منتجات: القمح والشعير والتمور، فيما شكلت منتجات: الصوف والجلود والمواشي الجمال والبغال والخيول والحمير فضلا عن الأسماك النهرية أهم الصادرات الحيوانية التي تصدر إلى هرمز والهند.[3] وبالمقابل كان يتم استيراد البضائع المصنعة على اختلاف أنواعها، وشملت سلع عديدة كان أهمها

---

[1] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 207.

[2] سوانسن كوبر، رحلة في البلاد الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربي في 1893م، ط1، تر: صادق عبد الركابي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م، ص 190.

[3] بيدرو تخسيرا، تاريخ الخليج والبحر الاحمر، تر: عيسى أمين، مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، 1996م، ص 79.

الأقمشة المختلفة والسكر والبن والأنسجة القطنية والخشب والتبغ، وفي هذا الصدد يذكر سوانسن كوبر: " ... ولإن بغداد على اتصال جيد مع العالم الخارجي، يستطيع المرء أن يجد كميات كبيرة من السلع الأجنبية في أسواقها. فهناك السلع الهندية التي تأتي عبر الخليج من بومبي، وتشاهد أقمشة مانشستر شائعة التداول في الأسواق كما في حلب. كما تستورد أيضا المرايا والمصابيح والأدوات المعدنية وكميات كبيرة من قطع السكر التي أعتقد أن جميعها قد جاء من فرنسا، ليس هناك حانوتا اوروبيا تماما في بغداد، وهذا شيء غريب إلى حد ما لأنه يوجد في بوشهر ببلاد فارس على الخليج حانوتا ممتازا من هذا النوع، إلا أنني وجدت حانوتا في شارع فرعي يديره أحد أبناء الشام يعرض سلعا أوروبية فقط، وفيه كمية من المشروبات الروحية والبيرة، هناك أيضا قسم لا بأس به من حوانيت العطارين إلا أنها ليست كثيرة كما في القاهرة وهي جميعها تبدو في وضع سيئ، يعتبر التبغ احتكاما حكوميا خالصا إلا أن السعر المفروض أعلى من سعر الحكومة الأصلي لأن التبغ الجيد يأتي عادة من سامسون، حيث يجب إضافة كلفة الشحن على السعر، تشاهد أيضا بعض المنسوجات الشرقية الجميلة ولكن على المشتري أن يعرف أين يذهب وماذا يدفع قبل أن يغامر بالشراء، وهي معظمها فارسية".[1]

ويوافقه في هذا ويلستد اذ قال: " تتألف التجارة في بغداد من فرعين، هما المتاجرة مع الهند من جهة، والمتاجرة مع فارس من الجهة الأخرى، ولقد ازدادت المتاجرة مع الهند في السنوات الأخيرة، في حين تدنت المتاجرة مع بلاد فارس. ويعود ذلك في الدرجة الاولى إلى أن التجارة التي كانت تحدث هنا قبلا، قد وجدت طريقها المباشر من **أرضروم*** إلى اسطنبول

[1] سوانسن كوبر، المصدر السابق، ص 191.

***أرضروم:** تقع مدينة أرضروم في شمال شرق تركيا على هضبة ترتفع نحو 1800 متر عن سطح البحر في هضبة الأناضول الشرقية، اسمها الحالي بالتركية أرزروم، وانتقل الإسم إلى العربية بلفظ أرض الروم، وصل إليها ابن بطوطة سنة 1333م ودعاها أرز روم، يبلغ عدد سكانها حوالي 361.235 نسمة، يسكنها الأكراد والأتراك والأرمن والشركس. وقد تواجدت هذه المدينة منذ القدم باسم كارين. للمزيد أنظر: https://www.turkpress.co/node/10452 تاريخ الإطلاع: 2022/06/10، سا: 11:25.

فالسكر والحرير والملابس الناعمة والخشنة وغيرها، ترد كلها من الهند ويتم توزيعها في بلاد كردستان وسوريا وآسيا الصغرى" [1]

كما أكد على هذا جيمس بيكنغهام في قوله " وتتألف تجارة بغداد غالبا من المصنوعات الهندية ومنتجاتها التي تصل من البنغال الى البصرة ثم يجرى توزيعها الى بلاد نجد عن طريق سوريا، وإلى كردستان وأرمينيا وآسيا الصغرى"[2]

أما عن أهم المدن التجارية فهي: بغداد، البصرة، والموصل، حيث شكلت مدينة بغداد نقطة مرور ما بين الموصل والبصرة، لأنها كانت تتوسط الطريق بين شمال وجنوب العراق فضلا عن كونها هي المركز السياسي والإداري للسلطة العثمانية، وفيما يخص البصرة فإن موقعها كان سببا لتصبح ذات موقع تجاري مهم لوجود الميناء وتوافد الكثير من التجار، وفي هذا يقول بارسونز: "...وبسبب موقعها الملائم أصبحت محلا لتجارة عظيمة، لأن التجار يستطيعون هنا شراء منتجات معظم أجزاء الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية؛ اذ تقوم سفن تلك البلاد بنقل حمولاتها الثمينة من منشأها، او من مصانعها، الى هذا الميناء"، وأضاف: "...ونتيجة لهذه المزايا يتوافد الى هنا الكثير من التجار الأرمن واليهود، فضلا عن الاتراك والمسيحيين مواطنين وأجانب..."[3]

أما مدينة الموصل فقد تمتعت بعلاقات تجارية مباشرة مع بلاد الشام وبلاد فارس ومعظم واردات الموصل كانت من البضائع الأوربية التي تأتيها عن طريق البحر المتوسط مثل: الحديد والمفارش والعباءات بالنيلة، وقد تولت الموصل توزيع تلك الواردات على شمال العراق وبلاد فارس والجزيرة وديار بكر.[4]

---

[1] جيمس ريموند ولستيد، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي دادود باشا، ص 98.

[2] جيمس بيكنغهام، المصدر السابق، ص 204.

[3] أبراهام بارسونز، رحلة أبراهام بارسونز من حلب إلى الخليج العربي، تر و تع: أنيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013م، ص119.

[4] سهيل قاشا، المرجع السابق، ص51.

وعن هذا يقول جيمس بكنغهام: "...لقد تقلصت تجارة الموصل التي اشتهرت في وقت ما إلى درجة واطئة، ومع ذلك لا يزال فيها بعض التجار الذين ينتقلون منها الى حلب يحملون معهم **عفص*** كردستان وبعض السلع الهندية التي تصل من البصرة ليتم تبادلها في سوريا مع السلع الأوربية، وكذلك تصل السلع الهندية أيضا الى طوقات والأجزاء العليا من آسيا الصغرى حيث يجري تبادلها مع النحاس الذي يرسل به من هناك الى بغداد..."[1]

وهكذا نجد إن الاهتمام بالنشاط التجاري كان يختلف عن بقية المجالات الاقتصادية الأخرى في العراق، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أهمية الموقع التجاري للعراق، فضلا عن الاهتمام الأوربي فيه، لاسيما بريطانيا، مما فرض إلى حد ما على العثمانيين ضرورة الاهتمام بهذا النوع من النشاط الاقتصادي.

د/ وسائل النقل:

شهد قطاع النقل النهري تطورا ملحوظا منذ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث كان سير البواخر بين بغداد والبصرة منظما ضمن مواعيد محددة، ففي هذا يذكر بكنغهام: " ...وتعتمد المواصلات بين بغداد والبصرة بصفة رئيسة على القوارب التي تمخر مياه دجلة ولو انها كانت تجري قبلا بطريق الحلة على نهر الفرات، وهذا الطريق الأخير بعد الآن غير مأمون بسبب وجود قبيلة كبيرة مستولية على ضفتي النهر، وهي تحمي جميع اليائسين الذين يعيشون في الريف المجاور على أعمال السلب بصفة رئيسة، والزوارق التي تستخدم لنقل البضائع في النهر تبلغ حمولتها من عشرين الى خمسة وعشرين طنا، وهي مزودة بصواري وأشرعة تستعمل حين تهب الريح، وفي المواسم الملائمة حين تهب رياح الشمال تتم الرحلة من بغداد الى البصرة في غصون سبعة أو ثمانية أيام، أما حين تسكن الريح فإن

***عفص:** كرات ورق البلوط، وهي من الثمار المعروفة منذ القدم لدى العرب والهنود والفرس وشرق آسيا والصين. للمزيد أنظر: https://mawdoo3.com تاريخ الإطلاع: 2022/06/16. ساء: 08:41.

[1] جيمس بيكنغهام، المصدر السابق، ص 66.

الزوارق تقطع هذه المسافة فيما يتراوح بين عشرة أيام وخمسة عشر يوما ولو أن التيار يكون دوما في صالحها، وحين تصعد النهر ترغم على السير بامتداد الشاطىء في القسم الأعظم من الطريق، وتستغرق الرحلة من البصرة الى بغداد ثلاثين بل حتى أربعين يوما، وأصغر السفن التي تستخدم لنقل الخضار والفاكهة الى المدينة، زوارق مدورة أشبه بالسلاسل تغطى بجلود ينطبق عليها ذات الوصف للمجلود التي كانت تستعمل في هذه الأنهر منذ سالف العصور، وتزود المدينة بمياه الشرب من نهر دجلة تجلب الى المنازل في قرب من جلود المعز تنقل على ظهور الدواب وتصل باب منزل كل عائلة بذات الطريقة التي تزود بها القاهرة من النيل في مصر، اذ أن وسائل نقل الماء والصهاريج والأحواض غير معروفة هنا..."[1]

ويوافقه في هذا الرحالة الإنجليزي ويلستد حيث قال: "... وتتراوح حمولة السفن التي تنقل هذه السلع بين بغداد والبصرة بصفة عامة بين مائة ومائتي طن، وهي شبيهة بالسفن التي تستخدم في الخليج العربي مع استثناء واحد هو انها تكون أوطأ في الماء، ولهذه السفن أشرعة واسعة وصواري قصيرة ذات قلوع نحاسية تمخر المياه على عمق خمسة أو ستة أقدام ولا تستخدم إلا لمدة سبعة اشهر في السنة، وتبدأ هذه السفن رحلتها بصفة عامة من البصرة في الأسبوع الأول من شهر كانون الأول، ومن ثم تسير بعكس التيار طيلة الطريق إذا ما توفرت الرياح الجنوبية الغربية، وتستغرق رحلتها حوالي شهر، أما السفن الصغرى فإنها تقطع ذات المسافة ومقدارها أربعمائة وعشرون ميلا، في مدة عشرة أيام ليس إلا " ، وذكر أيضا عن الحمولة التي تحملها هذه السفن حيث قال: " تتألف الحمولات التي تجلبها السفن الكبرى، من أغلى السلع المجلوبة من الهند أو الصين، أما بدائلها التي يجري تحميلها من البصرة فإنها تتألف من العفص والنحاس والحرير الخام والملح المجلوب من الجزيرة "[2]

[1] بكنغهام، المصدر السابق، ص ص 205-206.

[2] ويلستد، المصدر السابق، ص ص 98-99.

كانت هناك شركتين للنقل بين بغداد والبصرة الأولى بريطانية (بيت لنج) والأخرى عثمانية، وذلك حسب قول سوانسن كوبر: "...هناك في الوقت الحاضر خطان للملاحة النهرية بين البصرة وبغداد، وهما خط ناقلات تركية وآخر إنكليزي بدأ الخط الإنكليزي قبل ثلاثين سنة بواسطة الشركة المقدامة لنج، وتقدم خدمة نهرية جيدة عدد بواخرها ثلاثة فقط هي المجيدية والخليفة وبلوس لنج وهي أكبر وأقوى وأفضل من البواخر التركية. "[1]

من الملاحظ أن وسائل النقل التي دخلت العراق في ذلك الوقت ساعدت على تعزيز الروابط بين الريف والمدينة، وفي هذا تقول آن بلنت: " إن إنشاء شبكة النقل المائية أصلح مساوئ الأتراك ونظام حكمهم الحالي في هذه المنطقة ومن المحتمل أن تتطور البلاد بشكل طبيعي على الرغم من أنه لن يتم ذلك سريعا أو في الغد المنظور ... "[2]

كنتيجة لهذا المبحث، توصلنا إلى أن الأوضاع السياسية كان لها تأثير مباشر تسبب في تردي الوضع الاقتصادي، حيث لم يبد الوالي المملوكي داود باشا اهتماما بالقطاع الاقتصادي، هذا ما انعكس بالسلب على العراق، عامة خصوصا بعد غزو المنتوجات الأوروبية للأسواق العراقية. عكس الوالي العثماني مدحت باشا الذي أراد النهوض بالاقتصاد من خلال قيامه بعمليات اصلاحية مست القطاع، إلا أن اصلاحاته كانت متأخرة نوعا ما ولم تكن لها نتائج فعلية على أرض الواقع.

[1] سوانسن كوبر، المصدر السابق، ص 279.

[2] آن بلنت، المصدر السابق، ص 466.

المبحث الثالث:

رؤية العراق الاجتماعية والثقافية من خلال كتابات الرحالة الإنجليز

1- الرؤية الاجتماعية

2- الرؤية الثقافية

1/ الرؤية الاجتماعية

المتتبع لمظاهر الحياة الاجتماعية في مدن العراق يجد أن أكثرها كان امتداد لما عرفه العراقيون وألفوه في فترات سبقت العهد العثماني، وهي مجموعة العادات والتقاليد والأزياء والملابس التي ألفها الناس في القرون الماضية، لم تتغير كثيرا، وربما ظل معظمها محتفظا بصورته الأصلية[1].

ورغم ذلك فأن دراسة هذه المظاهر في العهد العثماني ليست أمرا سهلا، لأن أكثر المؤرخين الذين تناولوا دراسة تاريخ العراق عامة لم يتناولوا النواحي الاجتماعية إلا عرضا وذلك من خلال إشاراتهم للحوادث السياسية، ولهذا فقد شكلت كتابات الرحالة الأجانب مادة مهمة لتوضيح هذه المظاهر، مع أن الرحالة لم يتغلغلوا بعمق في المجتمع العراقي لأنهم في العادة لا يمضون وقتا طويلا في كل مدينة يمرون فيها، إلا إن ما كتبوه يمثل في الواقع المفتاح لمثل هذه الدراسات[2].

أ/ السكان:

أخذ موضوع السكان مساحة كبيرة من اهتمام كتب الرحالة الذين زاروا العراق والذين تناولوا موضوع السكان من خلال جوانب متعددة كالعدد والاحصائيات فضلا عن وصف الإنسان والتحديات التي تعرض لها.

ليس من السهل تقدير عدد سكان العراق خلال الفترة التي ندرسها، فأغلب الظن أن العدد لم يكن ثابت، وعلى أية حال فمن الممكن أن نفترض، أن زيادة كبيرة قد طرأت على سكان بغداد خلال القرن التاسع عشر، وقد أشار جيمس بكنغهام إلى عدد السكان في القرن

---

[1] وليم هود، رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر، تر: البير أبونا، مجلة بين النهرين، ع5، العراق، 1974م، ص78.

[2] هشام سوادي هاشم، أربيل في كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، مجلة التربية والعلم، مج15، ع3، قسم التاريخ جامعة الموصل، 2008م، ص94.

التاسع عشر فقال: " ويقدر عدد سكان بغداد باختلاف كبير ما بين خمسين ألف الى مائة ألف واقل نفوسا من حلب لكنها أكثر من دمشق. ولذلك فان الرقم القريب من الحقيقة هو ثمانون ألف، والموظفون الكبار في الحكومة من مدنيين وعسكريين هم من العوائل العثمانية أو من أتراك اسطنبول، وإن كانوا أنفسهم هم من سكنة هذه المدينة غالبا ومعظم التجار والباعة هم من أصل عربي، في حين أن الطبقات السفلى من الشعب تتألف من مزيج من الدم التركي والعربي والفارسي والهندي بكل صفاتهم المتباينة، وهناك بعض اليهود والمسيحيين الذين يحتفظون بطبقاتهم المميزة لهم، بينما يتألف الغرباء في المدينة من الأكراد والفرس والأعراب حيث يوجد عدد ملموس من كل من هؤلاء بصفة عامة ".[1]

ومن المؤكد أن عدد السكان في بغداد قد شهد ازدياد ملحوظ أيام داود باشا، فإنه لم يكن يقل قبل طاعون 1831م عن مائة وخمسين ألف نسمة، وكان القسم الأعظم من هؤلاء أتراك وعرب، لكنه كان هناك أيضا عدد كبير من البغداديين الأصليين وهم يكادون أن يكونوا عنصر خاص يختلط فيه الدم الإيراني والهندي، ومعظم التجار الآن هم من أصل عربي وهناك عدد من اليهود والأرمن والنصارى التابعين للكنيستين الكاثوليكية و**السريانية*** ".[2]

ويوافقه في هذا جيمس ريموند حيث قال: " وكان عدد سكان بغداد الثابتين منهم والمقيمين فيها، يقدر بمائة وعشرين ألف نسمة. ويتألف ثلثا هذا العدد من خليط من الفرس والترك والعرب، أما البقية فانهم من اليهود والمسيحيين".[3]

ومن جهة اخرى يذكر عبد الحسين زيني أن السير أي.بي كامبل القنصل البريطاني قد قام خلال مدة اقامته في بغداد، والتي استمرت 13 عاما بإعداد التخمينات حول السكان

---

[1] جيمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق سنة 1816، ص ص 199-200.

***السريانية:** نسبة للسريان، كلمة أطلقت على العناصر الأرامية التي اعتنقت المسيحية، وهي تسمية أطلقها اليونان بعد اتصالهم بهم في سورية. للمزيد أنظر: https://www.almaany.com تاريخ الإطلاع: 2022/06/15. سا: 08:56.

[2] جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، ص 77.

[3] جيمس ريموند ولستيد، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ص 94.

سنة (1899 – 1897م)، و ربما كان قد اطلع على تخمينات سابقة قام بها اشخاص آخرون وعلى أي حال فأن تقديراته لم تكن تشمل كل مساحة العراق المعروفة في الوقت الحاضر. وقد قام الدكتور محمد سلمان حسن بتعديل هذه الأرقام واملاء الفجوات، وقد بلغ عدد السكان حسب هذه الأرقام المعدلة 128 ألف نسمة.[1]

كما تطرق وليم هود إلى سكان الموصل عام 1817م فقال: " ... يقال إنها كانت تضم بين أسوارها عشرين ألف منزل، وقد دمر منها الثلث، وليس الآن مسكونا إلا النصف الباقي. فإذا حسبنا السكان بنسبة ستة أشخاص أو سبعة لكل منزل مسكون يمكننا القول إن عدد سكانها الحالي يزيد على أربعين ألفا أو خمسة وأربعين ألف نسمة ".[2]

أما جمس بكنغهام فيقول: "... ويظن أهل الموصل أن عددهم يتجاوز مائة ألف نسمة لكنني بعد إحصاء غير دقيق قمت به ومقارنته لأرقام مختلفة أجرينها أعتقد بأن عدد السكان أقل من نصف ذلك الرقم... يؤلف المسلمون القسم الرئيس من السكان في المدينة وهم من نسب متساوية من العرب والأتراك والأكراد. وهناك حوالي ثلاث مائة عائلة يهودية لهم بيعة يتعبدون فيها، أما الطوائف المسيحية فتتألف من أعداد نسبية، **فلكلدان*** لا يختلفون عن الكاثوليك إلا قليلا، يعتقد أن عددهم يبلغ حوالي ألف عائلة، والسيريان حوالي خمس مائة عائلة، واليعاقبة حوالي ثلاث مائة عائلة ".[3]

أما فيما يخص سكان البصرة فقد قدر تايلر عدد سكانها أكثر بقليل من بثمانية آلاف نسمة، لكن محيط أسوارها يدل حسب رأيه على أنها كانت تضم سابقا أكثر من هذا الرقم عشرة

---

[1] عبد الحسين زيني، الإحصاء الديموغرافي (الإحصاء السكاني)، مطبعة العاني، بغداد، 1969م، ص 154.

[2] William heude , A voyage up the persian Gulf and a journey overland from india to england in 1817, london , 1819, p 218.

***الكلدان:** هم مجموعة من الناس القدماء الذي سكنوا في بلاد ما بين النهرين جنوبي العراق الحالي (المنطقة التي شكلت سابقًا الجزء الجنوبي من بابل). كما يستخدم مصطلح الكلدان في بعض الأحيان ليشير إلى البابليين بشكل عام للمزيد أنظر: https://www.arageek.com/ تاريخ الإطلاع: 2022/06/15. ساء: 08:52.

[3] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 64.

أضعاف، لأن مرض الطاعون الذي ضرب المدينة سنة 1691م قضى على أعداد كبيرة من سكانها.[1]

ويذكر أبراهام بارسونز أن عدد سكان البصرة وغالبيتهم من العرب يتراوح ما بين ثمانين وتسعين ألف نسمة، رجالا ونساءً وأطفالا، بعد ما كان عددهم ثلاث مائة ألف نسمة، ويعود سبب انخفاض عدد السكان إلى مرض الطاعون الذي أصاب الأهالي في البصرة منذ شهر نيسان حتى أيلول عام 1773، اذ سقط الكثير ضحايا لضراوته، فضلا عن هروب 12 ألف.[2]

تعرف البصرة تنوع قومي منهم العرب الذين يشكلون الأغلبية أما البقية فهم الأتراك والأرمن، ومعظم الأتراك هم رجال الجيش والحكومة، أما الأرمن فهم التجار، إضافة إلى هذه القوميات نجد الفرس، وتجدر الإشارة إلا أن اللغة العربية هي اللغة الاكثر انتشارا فيها لكن اللغتين التركية والفارسية مألوفتان فيها أيضا.[3]

يذكر الرحالة ديللافاليه أن أغلب سكان البصرة مسلمون (سنة وشيعة)، وعلى الرغم من ذلك ففي البصرة تنوع ديني كبير جدا أثار استغراب أغلب الرحالة الأوربيين الذين زاروا مدينة البصرة، (إن البصرة تكاد تكون مجمع المذاهب المختلفة الى يقارب عدد ما فيها من أنواع النخيل ... إنك تجد النساطرة فيها والسنة والشيعة والبابية والوهابية والمسيحية الرومية والمسيحية الكلدانية والصابئة واليزيدية واليهود والأرمن وغيرهم كل بجنب الآخر، وقلما يحدث

[1] ناهدة حسين علي الأسدي، البصرة في ظل الحكم العثماني، دراسة في وصف البصرة وسكانها خلال القرن التاسع عشر، مجلة كلية التربية الأساسية، مج20، ع82، ص 418.

[2] وجدان كارون فريح التميمي، البصرة في كتب الرحالة الأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (نماذج مختارة)، مجلة "وميض الفكر" للبحوث، قسم الدراسات التاريخية، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، ديسمبر، 2020، ص 160.

[3] جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797، ص 38.

نزاع بين أنصار هذه الطوائف التي تمارس كل منها شعائرها المذهبية الخاصة بمطلق الحرية والاطمئنان.[1]

ومن هذه المعطيات نتوصل إلى أن عدد السكان في العراق خلال منتصف القرن التاسع عشر قد قدر بحوالي 1.25 مليون نسمة، كما أنه شهد ارتفاعا في عام 1884م إلى 1،40 مليون نسمة، أما في عام 1897م وصل إلى 1،55 مليون نسمة ليصل قبيل الحرب العالمية الأولى 1913م إلى 2،37 مليون نسمة.[2]

ب/ الأوبئة:

لم تشكل الأوبئة ولا سيما الطاعون والكوليرا والجدري التي اكتسحت العراق منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية 1918م ظاهرة جديدة في التاريخ الحديث لهذا البلد، حيث ارتبطت جذور الظاهرة بشكل وثيق بالموجات الوبائية المتكررة التي حدثت في العراق خلال وحتى قبل القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلاديين، وفي الواقع أنه طالما لم تتحقق شروط النظافة والصحة العامة للمجتمع العراقي في العهد العثماني فإن الهجمات والإندلاعات الوبائية تواصلت بلا انقطاع، ففي الوقت الذي كانت فيه الأوبئة تحدث تخريبا في العراق فإن تقدمها وتداعياتها كانت تلاحظ وتدون بشكل دقيق من قبل المؤرخين المحليين والرحالة الذين زاروا البلد[3].

لم يختلف القرن التاسع عشر عن القرون التي سبقته بسبب تزايد هجمات وباء الطاعون إذ ضرب الطاعون بغداد ثلاث سنوات متتالية 1801-1803م مزيلا بذلك العديد من علامات

---

[1] حيدر لازم عزيز، تاريخ البصرة الاجتماعي والاقتصادي في ضوء كتب الرحالة الاوربيين (القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر)، https://www.basrahcity.net/pather/report/basrah/141.html#a3، تاريخ الاطلاع: 03 أفريل 2022م، سا: 23:56.

[2] آمال شلاش (وآخرون)، تحليل الوضع السكاني في العراق 2012، اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، جوان، 2012، ص 22.

[3] قاسم الجميلي، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850-1918م، ص27.

الحياة في المدينة[1]، وداهم الوباء مرة أخرى في القرن نفسه وذلك سنة 1830م، وكان قد انتشر في تبريز وكركوك واجتاح كردستان قبل أن يهبط على بغداد، هذا ما جعل الوالي داود باشا يطلب من المستر تيلر (الوكيل السياسي البريطاني في بغداد) بأن يبين له الأساليب الحديثة في مقاومة الوباء، لكن لم يظهر لتلك الأساليب أثرا في بغداد، لذا لم يكن على الأهالي سوى أن يفروا من المدن التي اشتدت فيها وطأة الطاعون وسقط فيها الضحايا بالآلاف يوميا[2].

يذكر الإنجليزي لونكريك المفتش الإداري غي الحكومة العراقية في كتابه: " كانت تصل إلى بغداد منذ تموز 1830م إشاعات عن تفشي الطاعون في تبريز، وبعد شهرين تحقق تأثيره المروع وسرى شره إلى كركوك وقد حدثت فيها عدة إصابات طاعونية، فقد جاوز كركوك وأخذ يعيث فتكا بالسليمانية، وعلى هذا أحضر طبيب المقيمة الإنجليزية في بغداد تعليمات لتنفيذ الحجر الصحي"[3].

كما يضيف وستلد في هذا السياق: " لقد حاول الناس الهرب من مرض الطاعون، إن البدو يختبئون في كل منعطف لكي يسلبوا ويدمروا أولئك الذين يحاولون مغادرة المدينة وهم يحملون معهم أشيائهم، وقد أصبح كل زورق مزدحم بالناس والمرض يتعقبهم وهم في فرارهم هذا. لقد مكث الورعون والمتعصبون في المدينة وذلك إطاعة لإيمانهم بقوانين القضاء والقدر التي لا تتغير"[4].

---

[1] رسول الكركولي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، تر: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت، 1964م، ص143.

[2] نوار، تاريخ العراق الحديث، ص35.

[3] ستيفن هيمسلي لونكريك، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث، ص318.

[4] جيمس ريموند ولستيد، رحلة الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ص103.

ويقول أيضا: " إن الطاعون قد انتشر أول الأمر في الحي اليهودي وكان ذلك ناتجا على أكثر احتمال من استعمال اليهودي لمواد الألبسة، فقد مات في ذلك الحي بغتة خمسة أفراد في بيت واحد، ومع إن المرض قد امتد بسرعة إلى البيوت المجاورة "[1].

وعن تداعيات الطاعون السياسية والاجتماعية والديمغرافية يقول فريزر: " أسهم الطاعون في تهديم أعمدة الحكم المملوكي في العراق، عندما حرم داود باشا آخر الحكام المماليك لبغداد قصره وجنوده ونخبة قواته، أما النتائج الاجتماعية للطاعون فقد كانت فضيعة للغاية، فقد استأصل الوباء إما جزئيا أو كليا أعدادا هائلة من العوائل، كما أضحى آلاف من الأطفال أيتاما وتركوا في الطرقات بلا مأوى، فيما ألقيت الجثث على الأرصفة في كل مكان كما زالت كل التقسيمات والتدرجات الهرمية الاجتماعية بين الناس، فلقد تقاسم الفقراء والأغنياء المصير المفجع ذاته، أما الكارثة الديمغرافية فقد كانت مروعة فمن مجموع سكان بغداد البالغ آنذاك 150 ألف نسمة، أفنى الطاعون تقريبا مائة ألف شخص[2].

تأثرت مدينة البصرة هي الأخرى بالأمراض والأوبئة، حيث أباد طاعون 1831م كثيرا من سكانها، وكان سببا في هجرة قسم آخر من السكان، فضلا عن بداية ظهور بوادر وباء الكوليرا[3].

يؤكد زومير أن عدد سكان البصرة عام 1865م كان ستون ألف نسمة بعد أن كان عددهم مائة وخمسين ألف نسمة في منتصف القرن التاسع عشر، في حين قدرهم واستيد بـ مائة وثلاثين ألف نسمة في عهد داود باشا، وهناك إشارة أخرى الى أن عدد سكان البصرة عام 1870م كان يتراوح بين ثمانية وعشرة آلاف نسمة[4].

---

[1] جيمس ريموند ولستيد، المصدر نفسه، ص103.

[2] جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد 1834م، ص245.

[3] ناهده حسين علي الأسدي، المرجع السابق، ص420.

[4] ناهده حسين علي الأسدي، المرجع نفسه، ص421.

عموما فإن هناك اتفاق بين الرحالة والباحثين على أنه لا توجد إحصائيات دقيقة لعدد سكان البصرة، وأن الأرقام المذكورة في كتب الرحالة لا تتعدى التخمينات، لذلك نقف أمام أرقام متناقضة ومتذبذبة، ويعود سبب ذلك لعدم العثور على إحصائيات دقيقة في القرن التاسع عشرن، إذ أن طبيعة السكان المتنقلين فضلا عن أن الأهالي لا يعطون أرقاما حقيقية إما خوفا من التجنيد، أو بسبب عقائد اجتماعية، ومع ذلك فإن تفشي الأمراض في البصرة 1865-1875م هي وراء الإختلاف والتناقض في عدد السكان.[1]

ج/ العمران:

استأثرت المظاهر العمرانية في العراق اهتمام الرحالة الأجانب، وكان في مقدمة تلك المظاهر القلاع والأسوار، فالمدينة العراقية في العهد العثماني اتسمت بسمة مهمة هي كثرة تحصيناتها وأسوارها ومنها أربيل التي اشتهرت بقلعتها وعدت من مدن القلاع، التي تميزت بأهمية سوقية بحكم خصائصها العسكرية، والتي تعزى إلى كونها قلعة حصينة شيدت بالدرجة الأولى لأغراض دفاعية فضلا عن كونها محطة رئيسة مهمة في طرق المواصلات[2].

كما تعد قلعة بغداد الداخلية المعروفة باسم "إيج قلعه سي" من أقدم القلاع في العراق وبنائها يعود على الأرجح لأواخر حكم الأسرة التركمانية **القره قويونلية*** خلال القرن الخامس عشر ميلادي، بعد أن خضعت العراق للسيطرة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام 1543م. حيث اتخذها العثمانيون في أول عهدهم مقرا للحكم، وقد احتلت الركن الشمال

---

[1] حسين محمد حسين القهواتي، دور البصرة في الخليج العربي 1869-1914م، أطروحة دكنوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1978م، ص34.

[2] سعدي إبراهيم إسماعيل الدراجي، عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق 1625-1872م، مجلة التراث العربي، ع1، بغداد، 2014م، ص103.

***قره قويونلو:** من "قره" بمعنى أسود، و "قويون" بمعنى الشاه، و "لو" للنسبة. اسم قبيلة تركمانية حكمت إيران والعراق من سنة 1410-1468م. للمزيد أنظر: حسان الحلاق، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ص173.

الغربي داخل الأسوار على ضفاف دجلة الشرقية وبجانبها أنشأ السراي الذي صار مقرا للولاة الذين تعاقبوا على إدارة بغداد طوال العصر العثماني[1].

لقد رسمت القلعة في الخرائط التي وضعت لبغداد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأقدم الخرائط تلك التي رسمها فيليكس جونس 1853-1854م وتعد من أوضح الخرائط الموضوعة لمدينة بغداد في تلك الفترة. (أنظر الملحق 09). حيث شملت جميع محلات بغداد وشوارعها وأسوارها بجانبيها الشرقي والغربي[2].

ويشاهد في هذه الخارطة سور الجانب الشرقي وهو غير منتظم الأبعاد، وقد ضم داخله جميع المحلات السكنية القديمة، وله أربع أبواب، وقد أشر فيليكس جونس أهم المعالم العمرانية التي شاهدها آنذاك ومنها القلعة، بحيث رسم سورها وأبراجها الكبيرة التي كانت جزءا من سور المدينة، فضلا عن الأبراج الأخرى الموزعة على جدرانها الخارجية من الجهتين الشرقية والجنوبية، كما رسم المنشئات التي شاهدها قائمة في وسطها[3].

وفي سنة 1816م زارها الرحالة الإنجليزي جيمس بكينغهام وذكر: " أما من ناحية النهر فتقوم إحدى القلاع بالدفاع عن المدينة، وهي قلعة صغيرة مخربة تقع على جزيرة اصطناعية نشأت على امتداد مياه الدجلة من الضفاف التي تقع عليها القلعة إلى الخندق العميق الذي يحيط بها، وهي تقع على مقربة من جسر القوارب الذي يعبر به النهر، والبناية مثلثة الزوايا وقد شيدت من الآجر وليس فيها سوى مساكن قليلة للجنود الذين يؤلفون الحامية فيها، وقد انتشرت على مقربة من القلعة بضعة مدافع من البرونز ألقيت مهملة وغير صالحة للإستعمال"[4].

---

[1] اعتماد يوسف القيصري، قلاع بغداد سومر، م45، العراق، 1987-1988م، ص204.

[2] مصطفى جواد، أحمد سوسه، دليل خارطة بغداد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م، ص214.

[3] هشام سوادي هاشم، المرجع السابق، ص105.

[4] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص65.

وأضاف بكينغهام: " إن مساحات واسعة من الأراضي الواقعة ضمن الأسوار لا توجد فيها أبنية، ولا سيما الجانب الشمالي الشرقي منها، وحتى في الموقع الذي تكثر العمارات فيه وعلى الأخص الحي المأهول أكثر من غيره والذي يقع على مقربة من النهر، ترى فيه أشجار وفيرة "[1].

وشوارع بغداد ضيقة وغير مبلطة، ويتألف جانباها عادة من جدارين خاليين من المشاغل يندر فيها وجود النوافذ، في حين تكون أبواب البيوت صغيرة وضيقة، وهي شوارع ملتوية وأكثر تعرجا، ووجد بكنغهام أن بناية السراي عصرية نسبية، ويعتقد أن عدد المساجد في بغداد أكثر من مائة مسجد، وهناك أيضا أكثر من ثلاثين خانا، وأشهرها خان الأورطمة الذي يمتاز بأروقته الكبيرة والصغيرة[2].

أما ولستيد الذي زار بغداد أيام حكم داود باشا 1816-1831م، فقد أشار الى وجود مدارس ملحقة بالجوامع وتحدث بوصف مسهب على تصاميم البيوت البغدادية، وأشار الى الديوان الذي يكون مفتوحا أمام الزوار دائما، وكانت جدران البيت البغدادي مكفنة بالمرايا المزينة تزيينا عجيبا، وتغطى السقوف هي الأخرى بنقوش الخشب الذي يعرض المزيد من حسن الذوق[3].

ويقول فريزر الرحالة البريطاني الذي زار بغداد سنة 1834م، في إشارة إلى وجود الشناشيل في البيوت البغدادية، فليست الشبابيك المطلة على الشوارع كثيرة فقط بل توجد أيضا شرفات مطلة أو شبابيك بارزة (شناشيل) وتخيم على الشارع فتسمح بدخول الضوء الى الغرف

[1] جيمس بكنغهام، المصدر نفسه، ص192.

[2] جاسم محمد هادي القيسي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية 1831-1869م دراسة تاريخية، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985، ص104.

[3] جيمس ريموند ولستيد، المصدر السابق، ص74.

الداخلية، وأشار الى الميادين العامة التي تكثر فيها المقاهي، إذ يجلس فيها كثير من الناس وهم يدخنون ويشربون القهوة ويلعبون الشطرنج[1].

كانت الموصل هي الأخرى إحدى أهم المدن العراقية، حيث حضت باهتمام كبير في كتابات الرحالة، فوصفها الرحالة هود الذي زارها عام 1817م: "... حمامات بديعة وهي أجمل ما رأيته في هذا المضمار، فإن واجهتها هي من المرمر وهي لطيفة ونظيفة، وبين الفنادق الستة عشر المفتوحة لإيواء المسافرين عشرة أو إثنا عشر خانا منها كبيرا جدا، وفيها يجد المرء كل ما يحتاج إليه حسب عادات الشرق وتقاليده"[2].

ويضيف بكنغهام: "أما الأسواق فإنها ولم تكن مثل أسواق القاهرة في جمالها، إلا أنها تتميز عنها بشيء واحد هو كثرتها ووفرة ما فيها من الحاجات والضروريات التي تأتيها من المناطق الجبلية، على أن هذه الأسواق مفتوحة ومغطاة بسقوف وهي قذرة بصفة عامة وغير متناسقة مما يشاهد أمثاله في هذا الضرب من المدن الشرقية، ولا توجد سوق واحدة تباع فيها السلع الغالية وهي أفضل الأسواق في بنائها وتصميمها..."[3].

[1] جيمس بيلي فريزر، المصدر السابق، ص75.

[2] سهيل قاشا، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، ص ص 69-70.

[3] [3] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص61.

2/ الرؤية الثقافية

يعتبر الموروث الثقافي هوية خاصة للشعوب، حيث يبرز التباين والاختلاف بين شعب وآخر، ومما لا شك فيه أن للعراق هوية ثقافية جد أصيلة ترجع جذورها لأزمان غابرة، كون العراق بلد شهد العديد من الحضارات والتي بقيت بصماتها الثقافية إلى يومنا هذا.

أ/ عادات المرأة العراقية:

تعمل المرأة البغدادية على تعزيز دور الزوج في الأسرة من خلال تقديم الاحترام والتقدير له، ومساعدته في أمور الحياة المختلفة، كما تساهم في الوقوف إلى جنبه دائما، إضافة إلى سعييها من أجل تقوية زواجها من خلال المعاملة الصادقة والكلام الطيب، وفي هذا السياق يقول فريزر: " وفي معظم الحالات التي رأيناها كانت الزوجات يساعدنا ازواجهن في ارتداء الملابس أو خلعها ... كانت الزوجة تقوم على خدمته بنفسها ، فتتراجع إلى مسافة مناسبة لتنتظر الكوب بعد تقديم الماء ، وتكون واقفة بين يديه على الدوام ... وحتى أنها كانت تقوم بتقبيل يده عند تسلم الكوب منها .."[1]

كما اشار ايضا إلى التزام المرأة بالعبادة والصلاة حيث قال: " كانت نساء الأسرة ينصرفن إلى الصلاة بصورة عامة. وغالبا ما كن يصلين على انفراد كما يصلّي الرجال تماما، ولكننا لا حظنا مرة واحدة أو مرتين أن ربة البيت وبعض النساء الأخريات، كالأخت مثلا أو إحدى القريبات، كن يؤدّين الصلاة معا معقبة إحداهن إشارات الأخرى التي تقف بجانبها، كما يحصل حينما يقوم الرجال بصلاة الجماعة خلف الإمام. ولم تكن أية امرأة، سواء أكانت الزوجة أم الخادمة أم المملوكة، تهمل هذه الفريضة الصباحية ... ".[2] ذلك لأن الصلاة فرض على

[1] جيمس بيلي فريزر، المصدر السابق، ص 86.

[2] جيمس بيلي فريزر، المصدر نفسه، ص 86.

كل مسلم لقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى}[1] ، وقوله تعالى أيضا: { وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ }[2].

تتمتع نساء بغداد بالحياء فهي لا تقصد الحفلات ولا المناسبات إلا نادراً، ولا يخرجن للشارع إلا في الوقت الذي يذهبن فيه إلى الحمام، وعندما يفعلن ذلك يمتطين الحمير، ويغطين أجسامهن بالكامل بحيث لا يستطيع المرأ أن ينظر إليهن.[3]

أما عن الجمال فإن نساء بغداد يتميزن بجمالهم الملفت للنظر، ففي هذا يقول جيمس ريموند ولستيد: " أما النساء فهن مفرطات في الجمال فانهن ... يشاهدن في مجموعات، وقد تفلعن بطرحات وهن ينقلن الماء، وتكون قاماتهن طويلة واكواعهن في عهد الشباب مدورة واشكالهن جيدة، وهن يتبخترن منتصبات بيسر ورشاقة".[4]

وفي ذات السياق يذكر فريزر: " وتعد الكرجيات والشركسيات من بين نساء بغداد أجملهن على وجه التأكيد، وأقلهن تشويها بالمساحيق. أما نساء الطبقة العليا من سكان البلاد الأصليين فتكون سحنهن أقل طراوة وصفاء، بينما تكون نساء الطبقتين الوسطى والدنيا ببشرتهن السمراء وقلة جمال محياهن إلا من حيث العيون السود المعبرة، قد وشمن أنفسهن وشما وحشيا يكسبهن مظهرا منفرا في بعض الأحيان. وتقوم نساء جميع الطبقات والمراتب بصبغ شعرهن بالحناء، كما تصبغ راحات أيديهن صبغا قويا بها بحيث تبدو وكأنها أيدي البحارة المكسوة بالقطران ".[5]

ومن جهة أخرى فإن المرأة الموصلية تقدم الكثير من الأعمال في بيتها والمجتمع، إذ تقوم بأدوار هامّة في الأسرة تفوق قدرتها الجسدية في الغالب، بين الأم وربّة البيت والزوجة

[1] حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى، سورة البقرة، الآية 238.

[2] وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، سورة هود، الآية 114.

[3] جيمس ريموند ولستيد، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ص 93.

[4] جيمس ريموند ولستيد، المصدر نفسه، ص 94.

[5] جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص 87.

التي تساعد زوجها الذي يسعى إلى توفير المعيشة لهما وذلك لتحقيق معنى التعاون والتآزر والتآلف بينهما، وبالرغم من هذا ليس بين أيدينا شهادات وافية وكافية من الرحالة عن أحوال المرأة الموصلية إلا بعض منها، والتي تصف السكان والنساء وفي هذا يقول وليم هود : " إن السكان في هذه المدينة أقل تحفظ من غيرها من المدن ولا تحتجب النساء بصراحة كما هو الشأن في بغداد ".[1]

ويضيف جاكسون في ذات السياق: "ويندر مشاهدة نساء الطبقة العليا خارج أبواب المنازل، وإذا ما خرجن من منازلهن فيكن محجبات على الدوام. وكثير من النساء العربيات وخاصة أفراد الطبقة الدنيا لا يستعملون الحجاب ".[2]

من هاتين الملاحظتين نفهم أن حياة نساء الأسر الأرستقراطية في الموصل تختلف عن حياة غيرهن من عامة نساء الشعب ، فلم يكن يخرجن من بيوتهن إلا نادرا [3]، أما المرأة البدوية كان ينظر إليها أنها أدنى من الرجل، إلا أن لها في نفوس الجماعة العشائرية احتراما خاصا، ومكانة رفيعة، وتتمتع بحرية قلما تتمتع بمثلها غيرها، كما أنها نشيطة و تلعب دورا هاما في البادية وفي هذا الصدد تقول آن بلنت: " أن نساء البدو نشيطات في تأدية كل الأعمال في المخيم، يحضرن الحطب، ويسحبن الماء، وينصبن الخيام ويهدمنها، ويجلبن النعاج والنوق، ويقمن بعمليات إعداد اللبن، ويطبخن الطعام، ويعشن بمعزل عن الرجال، ولكن لا حجر عليهن أو وضعن تحت الحظر والمراقبة. تخرج النساء في الصباح لجمع الحطب ومعهن الجمال أو الحمير، وكل من صادفناهن وجدناهن يعملن في همة عالية وبمعشر حسن إذ يختلطن ويزرن خيام بعضهن بعضا ومعهن الأطفال، ولديهن القدرة على الاختلاط بالأقارب

[1] سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 32.

[2] جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797م، ص 37.

[3] عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي 1726 – 1824، رسالة ماجيستر في اتاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة القاهرة، كانون الثاني 1973.

الذكور كل حسب درجة قرابته، إلا أن مكانتهن الاجتماعية في حالة يرثى لها، ولكنهن لا يتذمرن من ذلك".[1]

تقوم المرأة البدوية مقام زوجها في الترحيب بالضيوف في خيمتها في غيابه، وتكرم ضيافتهم وانزالهم وإعداد الطعام لهم، واطعامهم وتأمين راحتهم، كما أن بيدها شرف وسمعة زوجها، وتقع على عاتقها مسؤولية تأمين ما يحتاجه الضيف من الطعام. مجمل القول، "عليها أن تجعل اسم زوجها مشهورا بين أقرانه العرب".[2]

أما عن الجمال فإن نساء البدو جميلات وممشوقات، ذات عيون جميلة بالرغم من التعب الذي يظهر عليهم [3]، حيث يقدم ولستيد وصف في زوج أحد الشيوخ، بأنها: "فتاة شابة جميلة...، قارعة الطول تماما، ذات جمال أنثوي أخاذ... هيأتها ومشيتها في منتهى الرشاقة ولم تكن **سحتها*** أكثر سمرة من سحنات أمثالها من الفتيات الجميلات في إيطاليا وهي وإن كانت بالطبع أكثر شحوبا، الا أنها أكثر صفاء وصقلا... شعرها يتدلى في جدائل على صدرها... وجنتاها رائعتي اللون، وشفتاها حمراوين، مكتنزتين ممتلئتين، وأسنانها بيضاء ولؤلؤية...، تبدو بمنتهى البراءة والسذاجة.[4]

فيما سبق ذكره، يبرز لنا الاهتمام الكبير للرحالة بعادات المرأة العراقية، بسبب دورها الهام في الحياة اليومية، حيث سلطوا الضوء على الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتقها كما صوروا الاختلاف في عادات نساء العراق المقرون بالاختلاف بين المدن والبادية.

---

[1] الليدي آن بلنت، قبائل بدو الفرات 1878م، ص 397 398 442.

[2] ديكسون، المصدر السابق، ص 109.

[3] شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882م، ص73.

***سحتها:** سحنة: شكل وهيئة. للمزيد أنظر: https://www.almaany.com/ تاريخ الإطلاع: 2022/02/16. سا: 09:15.

[4] جيمس ريموند ولستيد، المصدر السابق، ص112.

ب/ اللباس:

تعرف العراق تنوعا كبيرا من حيث اللباس، إذ تتميز معظم الفئات المجتمع بملبس خاص بها، ويختلف هذا اللباس من منطقة لأخرى.

يتميز لباس أتراك بغداد عن لباس الأخرين، وفي هذا يقول ولستيد: " الطوائف العليا ترتدي جلاليب غالية الثمن مصنوعة من الحرير، وذات لون وردي أو براق عادة. وتنفتح هذه الجلاليب من الأردان إلى أسفل المقدمة حيث تلفها السراويل المصنوعة من الحرير الكشميري الى الصدر، ثم تلقي فوق هذا الملبس عباءة من قاش غليظ. وتتألف العمائم من أجود أنواع الحرير الموصلي أبيض اللون، وربما كانت في شكلها من أجمل ما يلبس في الشرق". وواصل قائلا: " أما افراد الطبقة التي تقل عن ذلك منزلة، فانهم يرتدون سراويل وجواريب من جلد اصفر اللون براق. وتكمل البدلة عادة بحمل خنجر، يكون مقبضه مزين تزيينا فاخرة، ويرتدي أفراد الطبقة الفقيرة مجرد جلباب مشدود بحزام من الجلد، ومن دون سراويل، ولكن عائمهم تتألف هي الاخرى من الحرير الأبيض الناصع "، وفيما يخص لباس المتزوجين والغير المتزوجين ذكر وليستد: " ويرتدي غير المتزوجين من شبان الطبقة المتوسطة قميص أحمر اللون، في حين يرتدي المتزوجون قمصان زرقاء".[1]

أما عن لباس المرأة فقد ذكر بكنغهام: " لباس نساء بغداد ساذج مثل بقية أفقر القرى فيما بين النهرين. فالنسوة من مختلف الطبقات يلبسن اردية زرقاء شبيهة بما تلبسه الطبقات الدنيا في مصر، ويغطين وجوههن بقطعة من القماش الأسود القوي الشفاف ".[2]

[1] جيمس ريموند ولستيد، المصدر السابق، ص ص 92 –93.

[2] جيمس بكنغهام، المصدر السابق، ص 201.

أما في الموصل كان الصغار من الأولاد يلبسون غالبا قرطة ذهبية فإحدى الأذنين بينما تلبس الفتيات حلية أشبه بالزر مرصعة بأحجار صغيرة من الفيروز معلقة بثقب في الأنف، ويرتدي الرجال اللباس التركي ما خلا العمائم والطرابيش العالية مثل أعالي سوريا بدلا من **القاووق*** التركي، والسراويل المصنوعة من نسيج صوفي جميل عوضا عن الثياب القطنية أما النساء كانوا يلبسن رداءا واقي أزرق اللون أشبه بما هو مألوف في مصر وسوريا، ويستعملن حجابا من نسيج شعر الخيل الأسود يغطي الوجه كله وبذلك يظهرن بمظهر لا يثير الاهتمام غالبا.[1]

وفي ذات السياق يؤكد لنا بادجر هذا حيث ذكر لنا أزياء الموصل على الوجه التالي: " يختلف لباس الذكور في الموصل قليلا عن سائر مدن الشرق، وللإناث نوع خاص من غطاء يتكون من برنس مربع محشو في قمته وسادة مستديرة سمكها انشان تحتها صحيفة مذهبة توضع على الرأس والرقبة مع عدة أوشحة فتشكل نوعا من العمامة وهي للنساء الشابات مرصعة بالجواهر وسائر الأحجار الكريمة ولهن عصائب ذات زوايا ذهبية وقلائد مصنوعة ببراعة وأقراط وخلاخل وأساور. كل ذلك يثير إعجاب الجنس اللطيف ليس هذا فحسب بل في كافة أنحاء العالم. غير أن كل هذه الزينة محفوظة للبيت لأن المرأة لا تخرج منه بدون الملاءة الزرقاء المتعددة الألوان والخمار المربع المصنوع من شعر الحصان الذي يشد على الرأس ويتدلى حتى الحنك فيغطي كل أجزاء الوجه ... ".[2]

أما البدو فيتميزون بلباسهم الخاص الذي يتألف من قميص خشن يلبس فرقة الناس المتمكنون قفطان (زبونا) مصنوعا من نوع من أنواع القماش الحرير أو القطن، المخطط في الغالب وكلهم يضع على كتفيه عباءة عريضة من دون أردان لكنها مزودة بفتحتين تمد منهما

*القاووق: قلنسوة طويلة من ملابس الرأس كانت للفرس، ويلبسها اليوم كهنة بعض الطوائف، للمزيد أنظر: https://www.arabdict.com/ar تاريخ الإطلاع: 2022/06/11 سا: 08:45.

[1] جيمس بنكغهام، المصدر السابق، ص 66.

[2] سهيل قاشا، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، ص 34.

اليدان عند الحاجة، وتصنع من الصوف المحبوك في حياكته، المخطط بخطوط عريضة متعامدة بيضاء اللون وبنية، لكنها تكون بيضاء أو سوداء اللون في بعض الأحيان. وهي اللباس القومي الخاص، أي العباءة العربية المعتادة.[1]

وعن لباس الرأس فهو لا يقل انفرادا وتخصصا عن العباءة، التي يعتقدها البعض على أنها عمامة وهو ليس كذلك، فهي لا تشبهها، وإنما هو يتألف من كفية حرير مربعة الشكل محبوكة الحياكة، تخطط بخطوط متسعة صفراء وحمراء، وتبرم لحمتها من الحاشية إلى خيوط متينة قصيرة. وتطوى هذه الكفية بشكل مثلث ثم توضع فوق الرأس فيتدلى طرفاها على الكتفين أو أمامهما، بينما يتدلى الطرف الثالث إلى الوراء (أنظر الملحق 10). وفيما حول قمة الرأس المغطى بهذه الطريقة تلف حزمة من وبر الإبل البني اللون، المبروم برما جزئيا مرتين أو ثلاث مرات، بحيث يبدو الرجال لأول وهلة وهم يرتدون العباءة الفضفاضة معه أشبه ما يكون بالنساء الساحرات من الرجال، كما أنهم يتلثمون بطرفي الكفية في الطقس البارد، ويتلحفون بها إلى ما فوق الوجه والعيون حينما يشتد تأثير الشمس وإزعاجها، وبذلك ينتفع بها للحماية في كلتا الحالتين.[2]

أما لباس المرأة البدوية ذكر بنكغهام وقال: "...فهن يضعن فوق رؤوسهن غطاء قطنيا ذا لون أحمر او أصفر وتظل وجوههن مكشوفة معرضة للنظر إليها باستثناء الفم الذي يغطي أحيانا، وكما هو شائع بين بدو الصحراء تكون شفاه هؤلاء النسوة مصبوغة بالزرقة كما تظهر خطوط واشارات زرقاء على أجزاء مختلفة من وجوههن، وهن يلبسن الأساور والخلاخيل الثقيلة أيضا، ويحلى الأنف إما بحلقة كبيرة أو بقطعة مستوية مستديرة من الذهب تلصق على ورقة

[1] جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص ص 90-91.

[2] جيمس بلي فريزر، المصدر السابق، ص 91.

الأنف وتكون في حجمها وشكلها ومظهرها اشبه بالأزرار المتلألئة الجميلة التي يضعها الفلاحون الإنجليز على صدارياتهم التي يلبسونها في أيام الأحاد".[1]

ج/ المناسبات:

يعتبر شهر رمضان من الأشهر المقدسة لدى المسلمين، وترتيبه التاسع في ترتيب الأشهر القمرية، ويتغير سنويا بالنسبة لأشهر السنة الشمسية، نظرا لاختلاف التوقيت القمري عن الشمسي، ومن المعروف أنه خلال الصيام يمنع شرب الماء أو تناول الطعام، ووقت الصيام يمتد من قبل ساعتين من شروق الشمس حتى غروبها، وهذه القاعدة ثابتة أينما كان وليس فقط الأكل والشرب من الممنوعات فهناك التدخين، وشرب القهوة، ويحق للمرأة الحامل والمرأة المرضعة الإفطار، إذ كانت تقتضي حالتها الصحية ذلك بشرط إعادة الصيام في أيام أخر. كذلك إذا كان أحدهم على سفر او في مرض فله حق الإفطار أيضا مع عدة من أيام أخر.[2]

ولكل دولة من الدول العربية الإسلامية عادات وتقاليد يقومون بها في رمضان ومنها العراق التي تستقبل شهر رمضان بإطلاق المدافع عند غروب الشمس، وقبل طلوع الفجر بساعة، وتطلق المدفع الأخير، لتنبيه الناس بوجوب الإسراع في تناول آخر وجبة ممكنة من الطعام، عندما يساعد الجو على معرفة الخيط الأبيض من الخيط الأسود[3].

يعتقد البدو أن خسوف القمر خلال شهر رمضان من طوالع النحس، فتذكر الليدي درور: "... أن من طوالع النحس أن يرى المرء القمر وقد علته حمرة خلال شهر رمضان، وهو شهر الصوم لدى المسلمين جميعا، فيه يمتنعون عن الطعام والشراب، والتدخين فيها بين الشفق والغسق، واستيقظنا في أحد أيام رمضان الأخيرة على جلبة القوم، وقرع الصفائح، ونفخ

[1] جيمس بنكغهام، المصدر السابق، ص 201.

[2] ديكسون، المصدر السابق، ص 535.

[3] الميس بيل، العراق في رسائل الميس بيل، ص ص 49-50.

الأبواق وإطلاق العيارات، فلقد اصطبغ القمر باللون الأحمر، وهو في نظرهم بسبب اقتراب الحوت منه ساعيا لالتقامه، فإن تم ذلك بقي رمضان أبد الدهر، وذلك شيء مروع حقا..."[1]

تقول جيرترود بيل عن عادات خسوف القمر:"... بينما كنا نعود بالسيارة كان الظل الذي التف حول القمر قد زاد كثافة وعمقا حتى ترك العالم في ظلام مخيف، وكان الناس في بيوتهم يضربون على الصفيح، ويطلقون الرصاص من مسدساتهم ليخيفوا الحوت الذي يبتلع القمر فنجحوا في ذلك أخيرا، ولكن بعد أن كبدهم قلقا عظيما، فقد دام الخسوف مدة طويلة".[2]

وتضيف في موضع آخر:"... أخذت أراقبه، فكان منظره وقرصه يكاد أن يتلاشى منظرا مدها ذا لون نحاسي يبعث في المرء الكآبة، وكان كل شيء في الأزقة على بعد عدة مئات من الياردات يدق بالعصا على أي شيء يمكن الحصول عليه ليخيف الحوت الذي أخفى القمر، والحق أنهم نجحوا في النهاية لأن الشق الأعلى من القمر عاد إلى الظهور ثانية بعد غياب طويل...، وقبل أن يتسنى لي النوم ثانية عاد بدر رمضان فقضى على لمعان النجوم في الدب الأكبر..."[3]

يشهد رمضان الاجتماعات اليومية ليلا في مقاهي بغداد التي تتميز بسمات خاصة في هذا الشهر ، والتي هي عبارة عن صالات طويلة مفتوحة من الأمام ، تستند على أعمدة خشبية بتيجان مزخرفة اعتيادية ، وبداخلها دكات أو مقاعد خشبية طويلة ذات ذراعين ، وظهر عالي تتسع لأكثر من شخصين، حيث يجلس عليها المقرفصون المخلصون، وهم يدخنون **نارجيلاتهم***، ويرتشفون قهوتهم، ويناقشون بوقار شؤون حياتهم، وفي شهر رمضان حيث يصوم المؤمنون نهارا تتوهج هذه المقاهي بالإضاءة ليلا، ويمكن مشاهدة مجاميع منهم عند

---

[1] الليدي دور، على ضفاف الدجلة والفرات، ص287.

[2] الميس بيل، المصدر السابق، ص 627.

[3] الميس بيل، المصدر نفسه، ص ص 53-54.

***نارجيلاتهم**: تسمى أيضا الأرجيلة أو الشيشة هي أداة تدخين تعتمد على تمرير دخان التبغ المشتعل في الفحم بالماء قبل استنشاقه. للمزيد أنظر: https://ar.wikipedia.org/ تاريخ الإطلاع: 2022/06/16. سا: 09:25.

غروب الشمس، وهم جالسين مستعدين وغلاييهم في أيديهم ينتظرون غروب الشمس لإشعالها والبدء بمرحهم المعتاد.[1]

وفي سياق أخر يذكر ديكسون أن الاتصال الجنسي في شهر رمضان مدة الثلاثين يوما يجرم نهارا، بينما يسمح به ليلا. ويتوجب على كل من الرجل والمرأة أن يغتسل اغتسالا كاملا بعد كل اتصال جنسي، إذ إنه واجب ديني، وعلى جميع البدر دون استثناء تنفيذه حتى لو لم يكن لديه من الماء سوى وعاء صغير، فلابد من غسل كامل الجسم.[2]

من خلال هذا الفصل يمكننا التوصل إلى أن الحياة الاجتماعية والثقافية في العراق تمتاز بمقومات عربية أصيلة بامتياز، في اللباس، العادات، والمناسبات... وبالرغم من التعدد العرقي والثقافي في البلاد، إلا أن سكان العراق استطاعوا أن يحافظوا على موروثهم الثقافي الخاص.

[1] سوانسن كوبر، المصدر السابق، ص ص 189-190.

[2] ديكسون، المصدر السابق، ص 146.

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع "**العراق في العهد العثماني من خلال أدب الرحالة الإنجليز**"، اتضحت لنا مجموعة من الاستنتاجات:

- الاهتمام الكبير للرحالة الإنجليز بالعراق كونه موطن أقدم الحضارات، فضلا عن الدعم الذي لاقوه من طرف الحكومة البريطانية لتحقيق أهدافها الاستعمارية.
- تعدد واختلاف دوافع وأهداف الرحالة التي جعلتهم يهتمون بشكل كبير بالعراق.
- تطرق الرحالة الإنجليز الذين زاروا العراق في كتاباتهم للعديد من المعلومات المهمة التي شملت مختلف الجوانب: سياسية، اقتصادية واجتماعية. والتي تعد مادة ذات قيمة علمية للمؤرخ والباحث في تاريخ العراق.
- معاصرة الرحالة الإنجليز لمعظم الأوضاع التي مر بها العراق، واعتمادهم على أنفسهم في تدوين مؤلفاتهم التي تعد من المصادر المهمة في تدوين تاريخ العراق كونهم شهود عيان.
- تناولت كتابات الرحالة الإنجليز اهم القوي السياسية التي أثرت في الواقع السياسي للعراق، والتي تباينت بين القوي الداخلية المتمثلة بالحكومة المملوكية والسلطة العثمانية، وبين القوى الخارجية المتمثلة في زيادة نفوذ بعض الدول الأوروبية الكبرى كبريطانيا.
- أوضحت كتابات الرحالة الإنجليز الأهمية الإستراتيجية التي تمتع بها العراق من حيث الموقع، كونه يشرف على أهم الطرق التجارية التي جعلته همزة وصل بين الشرق والغرب، ناهيك عن أهمية ذلك الموقع بالنسبة لدول الشرق الأوسط.
- بيان الأهمية التجارية التي كان يتمتع بها العراق، حتى أنه كان ولسنوات من أهم الدول الخليج العربي في تجارة اللؤلؤ وإنتاج التمور والحبوب وارتباطه بعلاقات تجارية مع عدة دول.
- يتفق معظم الرحالة على بعض القضايا الرئيسية، ومنها الأخلاق الحسنة لأهل المدن وكرمهم وحسن ضيافتهم، بالمقابل صوروا تشدد وتعصب أهل البادية وقلة كرمهم.

- تبيين الرحالة للتنوع الديني والمذهبي والقومي، إلا أن جميع سكان العراق عاشوا معا دون مشاكل حول انتمائهم ومعتقداتهم القومية والدينية والعرقية، مما يدل على تمتع السكان بالحرية الدينية والفكرية.
- تصوير الرحالة للحياة الاجتماعية بشكل دقيق ومفصل، بعد الاحتكاك المباشر مع السكان والطبقات الاجتماعية في العراق، وهذا ما يتجلى في كتاباتهم حول العادات واللباس والاحتفالات بالمناسبات.

الملاحق

الملحق رقم 01

صورة لسليمان القانوني



المصدر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط1، الكويت 2014م، ص337.

الملحق رقم 02

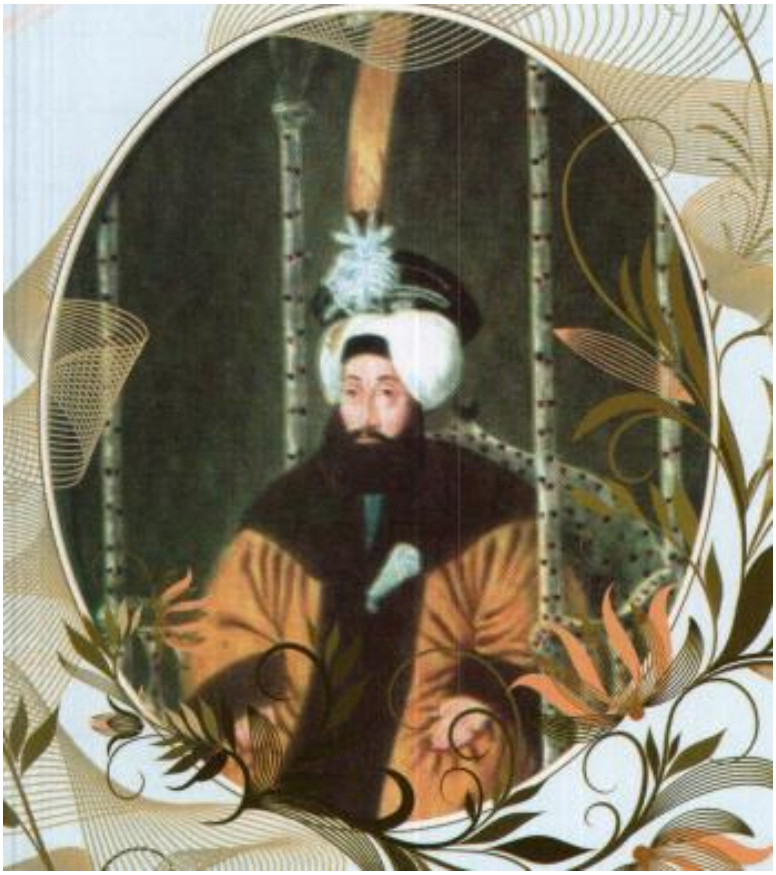
صورة لداود باشا



المصدر : https://ar.wikipedia.org/wiki

الملحق رقم 03

صورة لمحمود الثاني



المصدر: سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط1، الكويت 2014م، ص551.

الملحق رقم 04

صورة لعلي رضا اللاز



المصدر : www.turkeynow.news

الملحق رقم 05

صورة لمدحت باشا



المصدر : https://ar.wikipedia.org/wiki

الملحق رقم 06

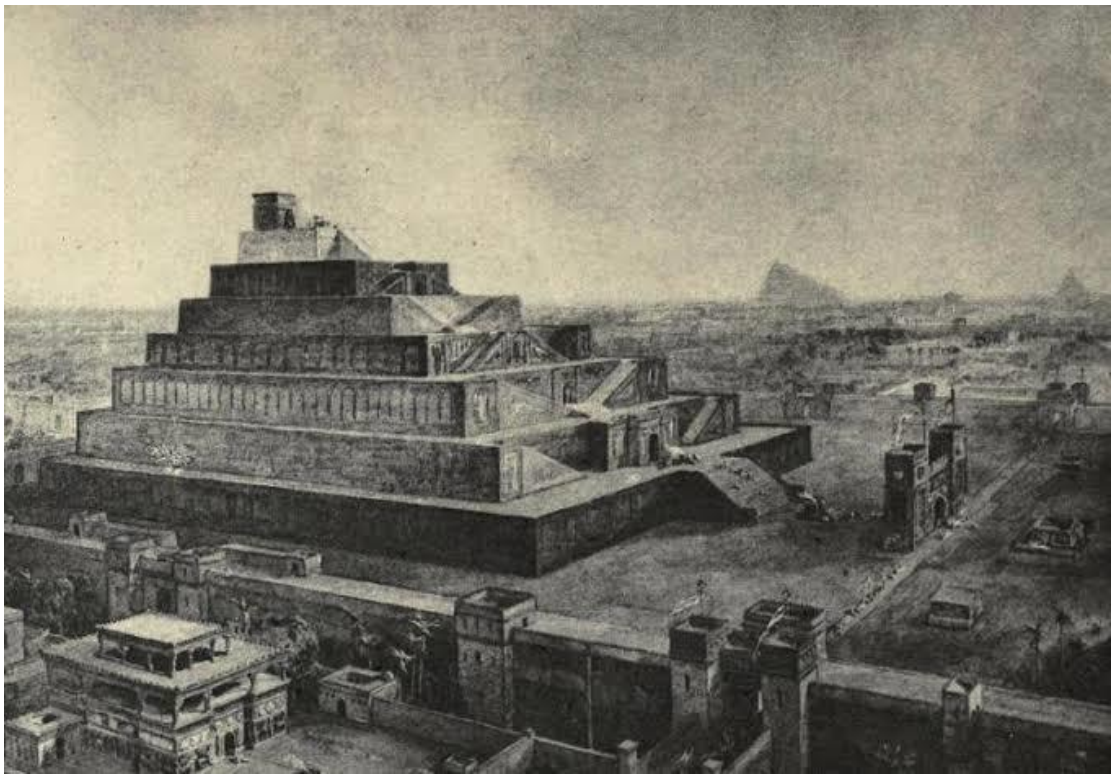
صورة جوية لمدينة أور الأثرية



المصدر: https://www.noonpost.com/content/40026

الملحق رقم 07

صورة لجدران بابل القديمة للرسام ويليام سيمبسون القرن التاسع عشر



المصدر: بابل القديمة تدخل قائمة مواقع التراث العالمي، www.aljazeera.net

الملحق رقم 08

صفحة من جريدة الزوراء



جريدة الزوراء، العدد 520، 17 جمادى الثاني 1291هـ، بغداد.

المصدر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، مكتبة مدبولي، مصر، ص493.

الملحق رقم 09

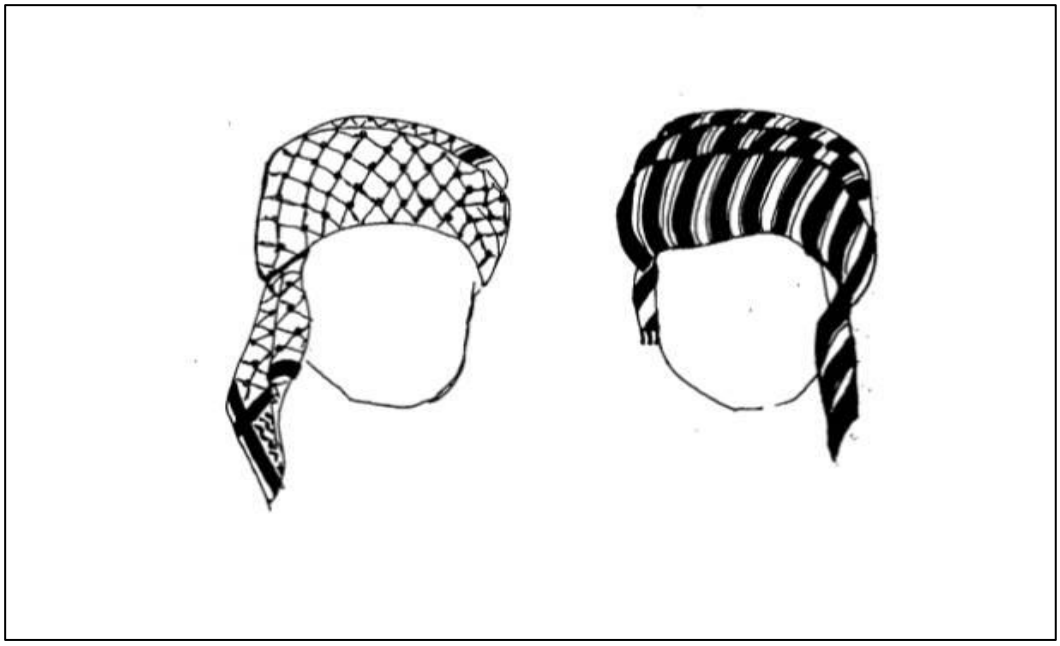
مخطط لمدينة بغداد كما صورها فيليكس جونس



جواد مصطفى، أحمد سوسه، دليل خارطة بغداد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م.

الملحق رقم 10

صورة للباس الرأس



المصدر: ضياء العزاوي، الملابس الشعبية في العراق، سلسلة فنون، ص139.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

المصادر العربية:

- أوبنهايم ماكس فون، من البحر المتوسط الى الخليج لبنان وسوريا، ج ،1ط ،1تر :محمود كبيبو، مر، ماجد شبر، دار الوراق للنشر المحدودة المملكة المتحدة، 2008م.
- بارسونز أبراهام، رحلة أبراهام بارسونز من حلب إلى الخليج العربي، تر و تع: أنيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013م.
- جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة 1797م، ط1، تر: خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2000م.
- ديكسون، عرب الصحراء، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، 1998م.
- ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، ط ،1تر: بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2016م.
- كوبر سوانسن، رحلة في البلاد الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربي في 1893م، ط1، تر: صادق عبد الركابي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م
- لونكريك ستيفن همسلي، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث، ط6، تر: جعفر الخياط، 1985م.
- الليدي آن بلنت، قبائل بدو الفرات 1878م، ط1، تر: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، دار الملاح للطباعة والنشر دمشق، 1991م.
- الليدي درور، على ضفاف دجلة والفرات، تع: فؤاد جميل، ط1، دار الوراق، لبنان، 2008.
- الميس بيل، العراق في رسائل الميس بيل 1917-1929م، ط1، تر: جعفر الخياط، تق عبد الحميد العلوجي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2003م، ص74.

- نيبور كارستن، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، د.ط، تر: محمود حسين الامين، تع، سالم الألوسي وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1965م.
- هوبير شارل، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882م، ط1، تر: إليسار سعادة، دار ألف، بيروت، لبنان، 2003م.
- هود وليم، رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر، تر: البير أبونا، مجلة بين النهرين، ع5، العراق، 1974م.
- ولستيد جيمس ريموند، رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، تر: سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية للنشر والتوزيع، بغداد.

المصادر الأجنبية:

William heude , A voyage up the persian Gulf and a journey overland from india to england in 1817, london , 1819.

المراجع العربية:

- أبو عليه عبد الفتاح حسن، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1979م.
- أحمد إبراهيم خليل، جعفر عباس حميد، تاريخ العراق المعاصر، دار الأثير، العراق، 1989م.
- أحمد كمال مظهر، صفحات من تاريخ العراق الحديث والمعاصر دراسة تحليلية، ط1، منشورات مكتبة البدليسي، بغداد، 1987م.
- البادي عوض، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية منطقة الجوف ووادي السرحان 1845-1966م، ط2، الدار العربية للموسوعات بيروت، 2002م.
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
- بذول روبن، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، تر :عبد الله أدم نصيف، جامعة الملك سعود، الرياض، 1989م.

- البسام خالد، صدمة الاحتكاك حكايات الارسالية الامريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925م، دار الساقي، بيروت.
- بن بطي عبيد علي، كتابات الرحالة والمبعوثون عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دبي، 1996م.
- بيضون أحمد عودات جميل، الناصور شحادة، تاريخ المغول والمماليك، دار الكندري، الأردن، 1990م.
- تخسيرا بيدرو، تاريخ الخليج والبحر الاحمر، تر: عيسى أمين، مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، 1996م.
- جميل سيار كوكب علي، تكوين العرب الحديث 1516-1914م، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، 1991م.
- جميلي قاسم، تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850-1918م، ط1، دار الدجلة، الأردن، 2016م.
- جواد مصطفى، أحمد سوسه، دليل خارطة بغداد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م.
- حسن محمد سليمان، التطور الاقتصادي في العراق التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1864-1958م، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1965م.
- الحلاق حسان، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.
- حمدي جعفر عباس، نوري عبد الحميد وآخرون، تاريخ البلاد العربية الحديث والمعاصر، ط1، وزارة التربية المديرية العامة للمناهج، العراق، 2015م.
- الحيدري إبراهيم، صورة الشرق في عيون الغرب (دراسة الاطماع الأجنبية في العالم العربي)، ط1، دار الساقي، بيروت، 1996م.
- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1996م.

- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1996م.
- الزيادي محمد فتح الله، الإستشراق أهدافه ووسائله، ط01، دار قتيبة
- زكرياء فؤاد، الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية، دط، مؤسسة هنداوي.
- زيني عبد الحسين، الإحصاء الديموغرافي (الإحصاء السكاني)، مطبعة العاني، بغداد، 1969م.
- سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط1، الكويت 2014م.
- سعدون سالم، جزر الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1981م.
- شلاش آمال (وآخرون)، تحليل الوضع السكاني في العراق 2012، اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، جوان، 2012م.
- شوق شاكر عالم، الإستشراق أخطر تحد للإسلام. دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، مج 3، ديسمبر 2006م.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، دار النفائس، بيروت، 2015م.
- عزالدين يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، دار البصيرة، العراق 1967م.
- العزاوي ضياء، الملابس الشعبية في العراق، سلسلة فنون، ص139.
- عطاالله سمير، قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج 1762-1950م، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان.
- علي عفيفي علي غازي، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، ط1، دار الرافدين، العراق، 2016م.
- عوض محمد مؤنس أحمد، الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1992م.

- عيساوي شارل، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800-1914م، تر: رؤوف عباس حامد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1990م.
- غازي علي عفيفي علي، كتابات الرحالة حول مجتمع البدو في العراق والجزيرة العربية، ط1، قنديل للطباعة والنشر، دبي، 2020م.
- غازي علي عفيفي علي، كتابات الرحالة مصدر تاريخي، كتاب المجلة العربية، الرياض.
- فائق بك سليمان، تاريخ المماليك في بغداد، تر: محمد نجيب الأرنمازي، مطبعة المعارف، بغداد، 1991م.
- قلعجي قدري، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العالم للملايين، مصر، 1947م.
- كاظم نورس علاء موسى، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700-1800م، بغداد 1949م.
- الكركولي رسول، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، تر: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت، 1964م.
- كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق، تر: عبد الواحد كرم، ط2، بيروت 1975م.
- لوتسكي فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، تر: عفيفة البستاني، ط8، دار الفارابي، لبنان،1980م.
- لورد بايرون، أسفار شيلد هارولد، ط1، تر: عبد الرحمن بدوي، دار المدى للثقافة والنشر دمشق، 2007م.
- النجار جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، مكتبة مدبولي، مصر.
- النملة علي بن إبراهيم، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط2، بيسان للنشر والتوزيع لبنان، 2011م.

- نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
- نورس علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق 1750-1831م، دار الحرية للطباعة، بغداد 1979م.
- الهلالي سلام حسين عويد، مدينة الشطرة العراقية في كتابات الرحالة الأجانب.
- الوردي علي، لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق، ج3، المكتبة الوطنية، العراق، 1972م.

المراجع الأجنبية:

- Lisa McCracken Lacy, Lady Anne Blunt and the English Idea of Liberty: In Arabia, Egypt, India, and the Empire, Presented to the Faculty of the Graduate School of The University of Texas at Austin in Partial Fulfillmen of the Requirement for the Degree of Doctor of philosophy, The University of Texas, May 2012.

المجلات:

- أحمد كمال مظهر، الإطار الزمني لتاريخ العراق الحديث والمعاصر، مجلة الحكمة، ع5، 1988م.
- الأسدي ناهدة حسين علي، البصرة في ظل الحكم العثماني، دراسة في وصف البصرة وسكانها خلال القرن التاسع عشر، مجلة كلية التربية الأساسية، مج20، ع82.
- التميمي وجدان كارون فريح، البصرة في كتب الرحالة الأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (نماذج مختارة)، مجلة "وميض الفكر" للبحوث، قسم الدراسات التاريخية، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، ديسمبر، 2020.
- الجشعمي يونس زويد، سياسة المماليك تجاه بعض عشائر الفرات الأوسط 1749-1830م، مجلة كلية التربية الأساسية، ع11، العراق، 2013م.

- حجر جمال محمود، المرأة الغربية والرحلة الى لجزيرة العربية: رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل عام 1879م، ذكريات الرحالة، مجلة التراث، ع121، سبتمبر 2009م.
- حمزة كريم مطر، الحلة في عهد داود باشا 1817–1831م، مجلة كلية التربية، ع3، مج1، العراق، 2009م.
- الخيقاني حيدر صبري شاكر، جذور التحديث الاجتماعي في العراق 1850–1914م دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع12، العراق 2013م.
- الخيقاني حيدر صبري شاكر، كتابات الرحالة الأوروبيين احدى المصادر المهمة في تدوين تاريخ مدينة البصرة، مجلة ادب البصرة، مج2، ع63، 2012م.
- الدراجي سعدي إبراهيم إسماعيل، عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق 1625–1872م، مجلة التراث العربي، ع1، بغداد، 2014م.
- الرويعي حيدر جاسم، تطور مفهوم الشرق في الفكر الاوروبي من خلال كتابات الرحالة الاوروبيين، مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، مج 10، ع 3 – 4، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة القادسية، 2011.
- الشلال عمر إبراهيم، مدارس البنات في الولايات العراقية أواخر العهد العثماني 1899–1914م، مجلة سر من رأى، ع43، مج11، العراق 2015م.
- العبد الجبار عبد الله بن عبد الرحمن، كتابات الرحالة الغربيين مصدرا لتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مجلة الدارة، ع1، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة، محرم 1422هـ.
- عبد الجبوري أحمد حسين، أوضاع العراق الاجتماعية من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، مجلة سر من رأى، ع5، مج3.
- عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحمن، النظم الإدارية العثمانية في البلاد العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية، مجلة الدارة، ع1، السعودية 1408هـ.

- غانم إسلام، دوافع المستشرقين القديمة والمستعربين الحديثة في قراءة التراث، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، جويلية 2019م.
- كاظم نجاة خير الله، التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العراق خلال الحكم العثماني 1869-1917م، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، أربيل، 2020م.
- محمدو بن محمذن، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى الدوافع والعراقيل، مجلة العلوم الإنسانية، ع20، قسم التاريخ، جامعة نواكشوط موريتانيا، ديسمبر 2003م.
- هاشم هشام سوادي، أربيل في كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، مجلة التربية والعلم، مج15، ع3، قسم التاريخ جامعة الموصل، 2008م.

الرسائل الجامعية:

- رؤوف عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي 1726 – 1824، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة القاهرة، كانون الثاني 1973م.
- السلطان سعيد، دور المماليك في الدولة العثمانية في المشرق العربي 1516-1812م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 2015م.
- فتحي يمينة، لورنس العرب ودوره في الثورة العربية 1916م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018 – 2019م.
- القهواتي حسين محمد حسين، دور البصرة في الخليج العربي 1869-1914م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1978م.
- القيسي جاسم محمد هادي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية 1831-1869م دراسة تاريخية، رسالة ماجيستر، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م.

المواقع الإلكترونية:

- عزيز حيدر لازم، تاريخ البصرة الاجتماعي والاقتصادي في ضوء كتب الرحالة الاوربيين (القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر)
https://www.basrahcity.net/pather/report/basrah/141.html#a3
- الرحالة البريطانيون في العراق حقائق وطرائف،
https://www.almadasupplements.com//view.php?cat=5279
- https://www.noor-book.com/tag
- .www.aljazeera.net
- https://www.noonpost.com/content/40026
- /https://www.arageek.com
- /https://www.ibelieveinsci.com
- https://mawdoo3.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 1

تمهيد: أوضاع العراق في القرن التاسع عشر ميلادي 6

1/ الأوضاع السياسية 8

2/ الأوضاع الاقتصادية 11

3/ الأوضاع الاجتماعية 14

المبحث الأول: الرحالة الإنجليز في العراق خلال القرن 19م 17

1/ أبرز الرحالة الإنجليز الوافدين في العراق 18

2/ دوافع اهتمام الرحالة بالعراق 24

المبحث الثاني: رؤية العراق السياسية والاقتصادية من خلال كتابات الرحالة الإنجليز 33

1/ الرؤية السياسية 34

2/ الرؤية الاقتصادية 40

أ/ الصناعة 40

ب/ الزراعة 44

ج/ التجارة 46

المبحث الثالث: رؤية العراق الاجتماعية والثقافية من خلال كتابات الرحالة الإنجليز 53

1/ الرؤية الاجتماعية 54

أ/ السكان 54

ب/ الأوبئة..... 58
ج/ العمران 61
2/ الرؤية الثقافية 65
أ/ عادات المرأة العراقية 65
ب/ اللباس 69
ج/ المناسبات 72
الخاتمة 77
الملاحق..... 80
قائمة المصادر والمراجع 90
فهرس المحتويات 100